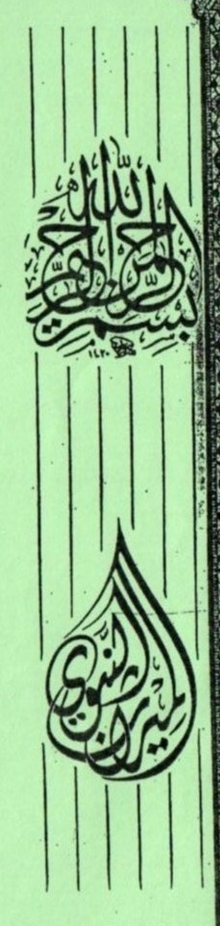


الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

طبع بإذن المؤلف

العلم ميراث النبي كذا أتى ... في النص والعلماء هم وراثه
ما خلف المختار غير حديثه ... فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 2729-2011
ردمك: 4-83-987-9947-978

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الدار البيضاء - الجزائر العاصمة
الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات: 661409999 (00213)
الفاكس: 21966847 (00213)
البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

التوزيع في مصر: دار المستقبل
50- شارع منشية التحرير- جسر السويس - عين شمس- الشرقية
ت: 00201118328377

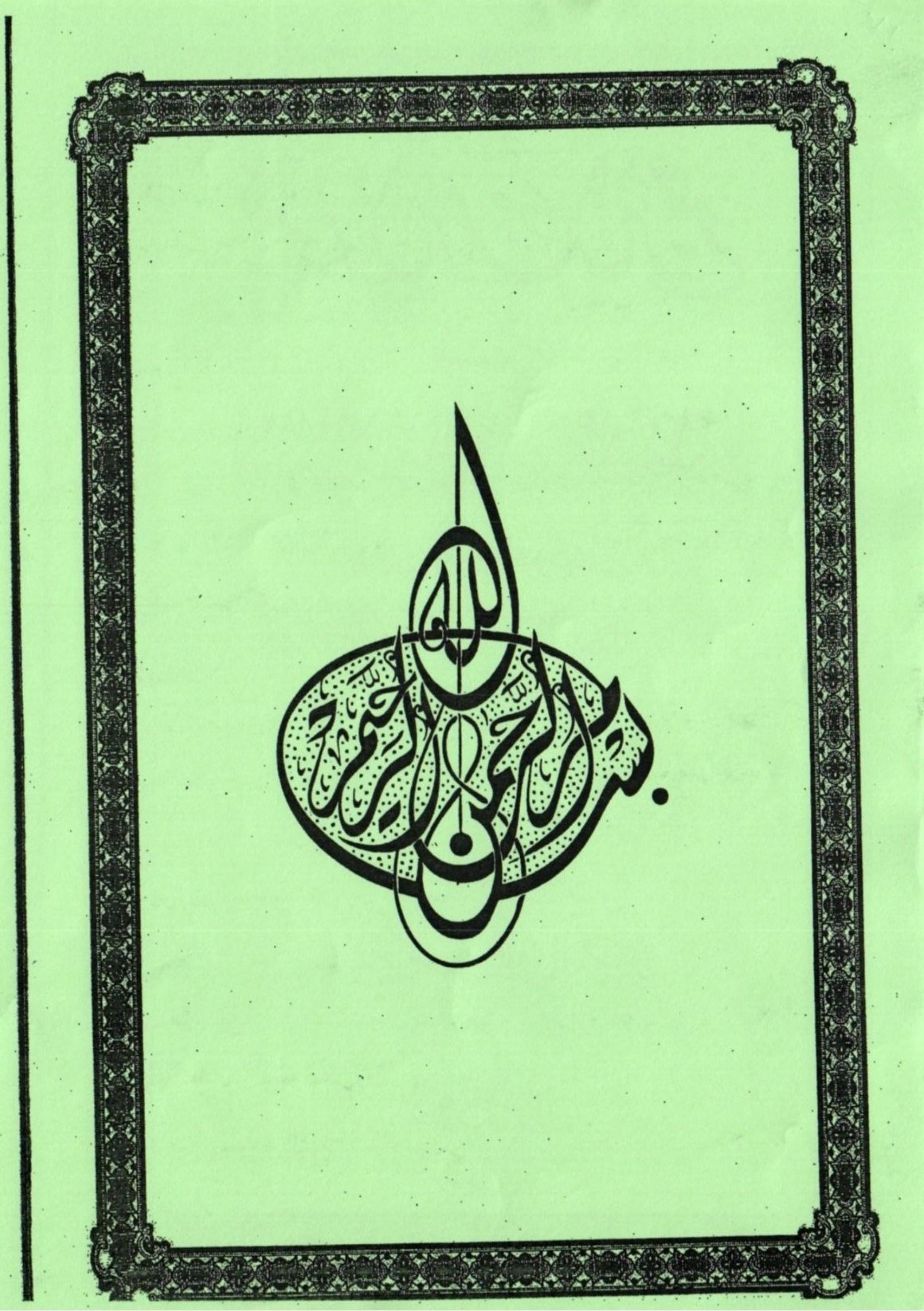
تيسير الرحمن الرحيم

شرح
لامية الإمام أحمد بن عبد الحليم

المنظومة اللامية لشيخ الإسلام
تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية
رحمه الله ٧٢٨هـ

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
زيد بن محمد بن هادي المدخلي

الميراث النبوي
للنشر والتوزيع



المقدمة

ترجمة صاحب المنظومة شيخ الإسلام ابن تيمية

اسمه ونسبه:

هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني.

وقيل في سبب تلقيب العائلة بـ(آل تيمية) ما نقله الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللهُ: إن جده محمدًا كانت أمه تسمىٰ (تيمية)، وكانت واعظة، فنسب إليها، وعرف بها).

وقيل، إن جدَّه محمد بن الخضر حج علىٰ درب تيماء، فرأىٰ هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت بنتًا له، فقال: يا تيمية، يا تيمية، فلُقِّب بذلك).

مولده ونشأته:

ولد رَحِمَهُ اللهُ يوم الإثنين، عاشر، وقيل: ثاني عشر من ربيع الأول سنة (٦٦١هـ)، في حرَّان.

وفي سنة (٦٦٧هـ) أغار التتار علىٰ بلده، فاضطرت عائلته إلىٰ ترك حران،

قاصدين دمشق، وبها كان مستقر العائلة، وبها طلب الشيخ العلم علىٰ أيدي علمائها منذ صغره.

قال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللهُ عنه: سمع "مسند الإمام أحمد بن حنبل" مرات، وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته "معجم الطبراني الكبير"، وعني بالحديث، وقرأ ونسخ، وتعلّم الخط والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، وأقبل علىٰ الفقه، وقرأ العربية علىٰ ابن عبد القوي، ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتىٰ فهم في النحو، وأقبل علىٰ التفسير إقبالًا كليًّا، حتىٰ حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك.

هذا كله وهو بعدُ ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فَرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه، وقلّ كتاب من فنون العلم إلا وقف عليه، كأن الله قد خصه بسرعة الحفظ، وإبطاء النسيان لم يكن يقف علىٰ شيء أو يستمع لشيء غالبا إلا ويبقىٰ علىٰ خاطره، إما بلفظه أو معناه، وكان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره، فنبغ ووصل إلىٰ مصافِّ العلماء، وتأهل للتدريس والفتوىٰ قبل أن يتم العشرين من عمره، وجلس علىٰ كرسي التدريس مكان أبيه وعمره إحدىٰ وعشرون سنة.

حياته كلها علم وعمل:

قال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللهُ: ثم لم يبرح شيخنا رَحِمَهُ اللهُ في ازدياد من العلوم،

وملازمة الاشتغال والإشغال، وبث العلم ونشره، والاجتهاد في سبل الخير، حتىٰ انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والزهد والورع، والشجاعة والكرم، والتواضع والحلم والإنابة، والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد مع الصدق والعفة والصيانة، وحسن القصد والإخلاص، والابتهال إلىٰ الله وكثرة الخوف منه، وكثرة المراقبة له وشدة التمسك بالأثر، والدعاء إلىٰ الله وحسن الأخلاق، ونفع الخلق، والإحسان إليهم والصبر علىٰ من آذاه، والصفح عنه والدعاء له، وسائر أنواع الخير.

مصنفاته:

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وأما تصانيفه رَحِمَهُ اللهُ فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر، سارت سير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حدَّ الكثرة؛ فلا يمكن لأحد حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعدّ المعروف منها، ولا ذكرها.

من ثناء أهل العلم عليه:

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللهُ: لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلًا العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد.

وقال فيه ابن الزملكاني وكتب علىٰ كتاب "رفع الملام عن الأئمة الأعلام":

مــاذا يقــول الواصــفون لــه ... وصــفاته جلَّــت عــن الحصــر

هـــو حجـــة لله قـــاهرة ... هـــو بيننـــا أعجوبـــة الـــدهر

هـــو آيـــة للخلـــق ظـــاهرة ... أنوارهـــا أربـــت علـــىٰ الفجـــر

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما علمناه والله إلَّا مؤمنًا محافظًا علىٰ الصلاة، والوضوء، وصوم رمضان، معظِّمًا للشريعة ظاهرًا وباطنًا، لا يؤتىٰ من سوء فهم، بل له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم؛ فإنه بحر زخَّار، بصير بالكتاب والسنة، عديم النظير في ذلك، ولا هو بمتلاعب بالدين، فلو كان كذلك؛ لكان أسرع شيء إلىٰ مداهنة خصومه، وموافقتهم، ومنافقتهم.

ولا هو يتفرَّد بمسائل بالتشهِّي، ولا يفتي بما اتفق، بل مسائله المفردة يحتج لها بالقرآن، أو بالحديث، أو بالقياس، ويبرهنها ويناظر عليها، وينقل فيها الخلاف، ويطيل البحث؛ أُسوةَ مَنْ تقدَّمه من الأئمة؛ فإن كانَ قد أخطأ فيها؛ فله أجر المجتهد من العلماء، وإن كانَ قد أصاب؛ فله أجران.

وإنَّما الذم والمقت لأحد رجلين: رجل أفتىٰ في مسألة بالهوىٰ، ولم يُبْدِ حجة، ورجل تكلَّم في مسألة بلا خميرةٍ من علم، ولا توسُّعٍ في نقل؛ فنعوذ بالله من الهوىٰ والجهل.

وقال ابن السبكي في رسالته التي أرسلها للذهبي: أما قول سيدي في الشيخ، فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم

الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائما، وقدره في نفسي أعظم من ذلك وأجل، مع ما جمع الله له من الزهادة، والورع، والديانة، ونصرة الحق والقيام فيه، لا لغرض سواه، وجريه علىٰ سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفىٰ، وغرابة مثله في هذا الزمان، بل من أزمان.

ذكر شيء من مصنفاته:

يقول العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكافية الشافية للانتصار للفرقة الناجية» (٢/ ٢٩٠-٢٩٣) بشرح ابن عيسىٰ:

فـــاقرأ تصـــانيف الامـــام حقيقـــة ... شـــيخ الوجـــود العـــالم الربـــاني

أعنـــي أبـــا العبـــاس أحمـــد ذلـــ ... ـك البحر المحيط بسائر الخلجان

واقـــرأ كتـــاب العقـــل والنقـــل الـــذي ... مـــا في الوجـــود لـــه نظيـــر ثـــان

وكـــــذاك منهـــــاج لـــــه في رده ... قـــول الـــروافض شـــيعة الشـــيطان

وكـــذاك أهـــل الاعتـــزال فإنـــه ... أرداهـــم في حفـــرة الجبَّـــان

وكـــذلك التأســـيس أصـــبح نقضـــه ... أعجوبـــة للعـــالم الربـــاني

وكـــذاك أجوبـــة لـــه مصـــرية ... في ســـت أســـفار كتـــبن ســـمان

وكـــذا جـــواب للنصـــارىٰ فيـــه مـــا ... يشـــفي الصـــدور وإنـــه ســـفران

وكـــذاك شـــرح العقيـــدة للأصـــبها ... ني شـــارح المحصـــول شـــرح بيـــان

فيهـــا النبـــوات التـــي إثباتهـــا ... في غايـــة التقريـــر والتبيـــان

والله ما لأولي الكلام نظيره ... أبدًا وكتبهم بكل مكان

وكذا حدوث العالم العلـ ... ـوي والسفلي فيه في أتم بيان

وكذا قواعد الاستقامة إنها ... سفران فيها بيننا ضخمان

وقرأت أكثرها عليه فزادني ... والله في علم وفي إيمان

هذا ولو حدثت نفسي أنه ... قبلي يموت لكان غير ذا الشان

وكذاك توحيد الفلاسفة الألىٰ ... توحيدهم هو غاية الكفران

سفر لطيف فيه نقض أصولهم ... بحقيقة المعقول والبرهان

وكذاك تسعينية فيها له ... رد علىٰ من قال بالنفساني

تسعون وجها بينت بطلانه ... أعني كلام النفس ذا الوجدان

وكذا قواعده الكبار وأنها ... أوفى من المائتين في الحسبان

لم يتسع نظمي لها فأسوقها ... فأشرت بعض إشارة لبيان

وكذا رسائله إلىٰ البلدان والأ ... طراف والأصحاب والإخوان

هي في الورىٰ مبثوثة معلومة ... تبتاع بالغالي من الأثمان

وكذا فتاواه فأخبرني الذي ... أضحىٰ عليها دائم الطوفان

بلغ الذي ألفاه منها عدة الأ ... يام من شهر بلا نقصان

سفر يقابل كل يوم والذي ... قد فاتني منها بلا حسبان

هذا وليس يقصر التفسير عن ... عشر كبار ليس ذا نقصان

وكذا المفاريد التي في كل مسـ ... ـألة فسفر واضح التبيان

ما بين عشر أو تزيد بضعفها ... هي كالنجوم لسالك حيران

وله المقامات الشهيرة في الورىٰ ... قد قامها لله غير جبان

نصر الإله ودينه وكتابه ... ورسوله بالسيف والبرهان

أبدىٰ فضائحهم وبيّن جهلهم ... وأرىٰ تناقضهم بكل زمان

وأصارهم والله تحت نعال أهـ ... ـل الحق بعد ملابس التيجان

وأصارهم تحت الحضيض وطالما ... كانوا هم الأعلام للبلدان

ومن العجائب أنه بسلاحهم ... أرداهم تحت الحضيض الداني

كانت نواصينا بأيديهم فما ... منا لهم إلا أسير عان

فغدت نواصيهم بأيدينا فما ... يلقوننا إلا بحبل أمان

وفاته رحمه الله:

في ليلة الإثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة (٧٢٨هـ) توفي شيخ الإسلام بقلعة دمشق التي كان محبوسًا فيها، وأُذن للناس بالدخول فيها، ثم غُسِّل فيها، وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلىٰ جامع دمشق، وصُلي عليه بالقلعة، ثم وضعت جنازته في الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام، ثم صُلي عليه بعد صلاة الظهر، ثم حملت الجنازة، واشتد الزحام، فقد أغلق الناس حوانيتهم، ولم يتخلف عن الحضور إلا قلة، أو من أعجزه الزحام، وصار النعش علىٰ الرؤوس تارة يتقدم، وتارة يتأخر، وتارة يقف حتىٰ يمر الناس، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها وهي شديدة الزحام.

انظر ترجمته في:

- «الانتصار في ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين»، للحافظ ابن عبد الهادي المقدسي.
- «الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية»، للحافظ البرزالي.
- «سير أعلام النبلاء»، للحافظ الذهبي.
- «المعجم المختص»، للحافظ الذهبي.
- «البداية والنهاية»، للحافظ ابن كثير.
- «ذيل طبقات الحنابلة»، للحافظ ابن رجب الحنبلي.
- «الشهادة الزكية في ثناء الأئمة علىٰ ابن تيمية»، لمرعي الحنبلي.
- «الرد الوافر علىٰ من سمىٰ ابن تيمية شيخ الإسلام كافر»، لابن ناصر الدين الدمشقي.
- «البدر الطالع بمحاسن القرن السابع»، للعلامة الشوكاني.

المنظومة اللامية

يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي ﴿١﴾ رُزِقَ الهُدَىٰ مَنْ لِلْهِدايَةِ يَسْأَلُ

اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ ﴿٢﴾ لَا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ

حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ ﴿٣﴾ وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَىٰ بِهَا أَتَوَسَّلُ

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وَفَضْلٌ سَاطِعٌ ﴿٤﴾ لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

وأَقُولُ في[1] الْقُرْآنِ مَا جاءَتْ بِهِ ﴿٥﴾ آياتُهُ فَهُوَ القَدِيمُ[2] المُنْزَلُ

وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ ﴿٦﴾ وَالْمُصْطَفَىٰ الْهَادِي وَلَا أَتَأَوَّلُ

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفاتِ أُمِرُّهَا ﴿٧﴾ حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

وَأَرُدُّ عُهْدَتَهَا[3] إِلَىٰ نُقَّالِهَا ﴿٨﴾ وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْقُرْآنَ[4] وَرَاءَهُ ﴿٩﴾ وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ

وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ ﴿١٠﴾ وَإِلَىٰ السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

---

(١) في نسخة: [أُقِرُّ بِـ].

(٢) ورد في بعض النسخ [الكريم المنزل]، وبعضها: [العظيم المنزل].

(٣) في نسخة: [عُقْبَتَهـا].

(٤) في نسخة: [الكتاب].

وَأُقِرُّ بِالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ الَّذِي ﴿١١﴾ أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ

وَكَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ ﴿١٢﴾ فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَآخَرُ مُهْمَلُ

وَالنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ ﴿١٣﴾ وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَى الْجِنَانِ سَيَدْخُلُ

وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ ﴿١٤﴾ عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ ﴿١٥﴾ وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ

فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ [1] ﴿١٦﴾ وَإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

انتهت القصيدة

(١) في نسخة: [فَمُوَحِّدٌ].

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين وخاتم النبيين، نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه، ومن اهتدىٰ بهداه إلىٰ يوم الدين.

أمَّا بعد:

فهذا شرحٌ مختصرٌ لنظمٍ عظيم في العقيدة الإسلامية، نظمه جِهبِذ من جهابذة العلم، ألا وهو شيخ الإسلام أحمدُ ابنُ تيمية الحرَّاني رحمه الله، بيَّن فيه عقيدته السَّلفية التي كان عليها، وجاهد في سبيلها، وحمىٰ حماها، ونشرها في كتبه المطوَّلة والمتوسِّطة والمختصرة.

وهذا الشرح كان ضمن دروس علميَّة ألقيتها في إحدىٰ دورات الإمام المجدِّد الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رحمه الله، التي كان يحضرها عدد من طلبة العلم الذين كانوا يأتون من أماكن عديدة؛ رغبة في تحصيل العلم الشرعي، الذي يقود الإنسان بعد توفيق الله تعالىٰ إلىٰ برِّ الأمان ورضا الكريم الرحمن.

وإنِّي لأدعو إخواننا وأبناءنا من طلبة العلم في كل مكان أن يجتهدوا في

تحصيل العلم، والنظر في متونه وشروحه، والتتلمذ علىٰ أهل العلم السائرين علىٰ نهج السلف الصالح في علوم العقيدة والشريعة، وأوصيهم بالاستمرار علىٰ ذلك، والتناصح فيما بينهم، والتعاون علىٰ كل برٍّ وتقوىٰ، ورفض كل إثم وعدوان؛ ليكونوا حملة علم عدولًا، يحملونه لمن بعدهم نشرًا لدين الله، وبيانًا لأحكامه، ومرجعية علمية للناس الذين لا يستغنون في كل زمان ومكان عن صاحب علم شرعي ذي همَّة عالية وحكمة هادية، يُعلِّم الجاهل، ويجلس للسائل، ويفتي المستفتي، ويوجِّه وينصح، وهذا هو شأن المصلحين من عباد الله، الذين لهم الجزاء الأوفىٰ عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وفَّق الله الجميع لما يرضيه، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شرح المنظومة

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي (١) رُزِقَ الهُدَىٰ مَنْ لِلْهِدايَةِ يَسْأَلُ

الشرح:

المذهب في اللُّغة: مصدر ذهبَ، أيْ: مضىٰ.

وقوله: (مَذْهَبِي)، أي: ما أذهب إليه في العقيدة، وأعتقده، وأميل إليه.

العقيدة لغةً: مأخوذة من العقد، وهو ربط الشيء، واعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير. والعقيدة: ما يَدين به الإنسان ربَّه، يقالُ: له عقيدة حسنة، أي: سالمةٌ من الشكِّ.

وأراد الإمام رَحِمَهُ اللهُ **في قصيدته:** بيان ما يعتقده ويدين الله به في أبواب العقيدة الإسلامية: من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وما تستلزمه هذه الأركان من الأصول الدينية الاعتقادية والعملية.

وهذا البيت: فيه خطابٌ موجَّه للجميع؛ وإن كان ردًّا علىٰ سؤال، كما

صرَّح به في البيت، إلَّا أن مراده كان لعموم من يريد معرفة معتقده ومنهجه في مثل هذه الأبواب المهمَّة، وهذه من أساليب أئمَّة السلف الصالح في نشر العلم، وتوضيح مسائل العقيدة الصحيحة وعلوم الشريعة الواسعة الفسيحة.

وخلاصة الشطر الأوَّل من البيت الأوَّل هو: الإرشاد والتوجيه من الإمام لكل من يحبُّ أن يعرف مذهبه وعقيدته، فليصغ إلىٰ ما سطَّره في هذه الأبيات القليلة فيما يتعلَّق بعقيدته التي أملاها في مؤلفاته العقدية الكثيرة، ولقي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليها.

والشطر الثاني: فيه دعاءٌ منه رَحِمَهُ اللهُ بالهداية لمن يسأل ليعلم ويعمل ويُعَلِّم؛ إذ قال: **(رُزِقَ الْهُدَىٰ)** وهذه السنَّة، أي: دعوة الأخ لأخيه المسلم من سنن هذا الدين الحنيف، التي أمرنا الشارع الحكيم أن نستنَّ بها، كما جاء في حديث أمِّ الدرداء وأبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبيَّ ﷺ قَالَ: «**دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**»[1]، حيث دل الحديث علىٰ أهمية الدعاء للغير وخاصة بالهداية إلىٰ الصراط المستقيم.

وقوله: (الْهُدَىٰ): هو الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه، ولزوم الاستقامة عليه، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٧٣٣).

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، الصراط الذي هو دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولقد افتتح بعضُ أئمَّة السلف -رحمهم الله- مصنَّفاتهم بالدعاء، كقولهم: (اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ) أو(غَفَرَ اللَّهُ لَكَ) وغيرها من الأدعية لمن يسأل عن المسائل الدينية، سواء كانت عقائد أو مناهج أو عبادات أومعاملات.

وكان القصد من وراء السؤال عنها طلب هداية الاسترشاد، ومعرفة الطريق الصحيح في العقيدة وغيرها للعمل به واتباعه، وهذا الدعاء الذي افتتح به شيخ الإسلام منظومته من ذلك.

قال رحمه الله:

اسمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ في قَولِه ﴿٢﴾ لا يَنْثَنِي عَنهُ وَلا يَتَبَدَّلُ

الشرح:

ثمَّ شرع بالبيان عن معتقده مبيِّنًا للسائل وغيره أن ما سيسمعه أو يقرؤه في هذه المنظومة هو معتقده الذي لن ينثني عنه أو يتبدل إن شاء الله، فقال: (اسمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ ۞ لا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ) وهو وعدٌ منه بأنه سيبيِّن معتقده بالأدلَّة من الكتاب والسنَّة، وهذا هو المحقِّق، وهو محقٌّ في قوله؛ لأنه ينطلق من نصوص الكتاب والسنة.

قوله: (لَا يَنْثَنِي): لا يرجع عنه.

وقوله: (لَا يَتَبَدَّلُ)؛ لأنه يقول الحقَّ بنصوص شرعيَّة صحيحة صريحة، يبيِّنها بمعانيها الصحيحة، ولا يتأوَّل شيئًا منها تأويلًا مذمومًا.

ولقد اشتملت هذه المنظومة المباركة علىٰ عدَّة مسائل مهمَّة من مسائل المنهج والاعتقاد، وهي علىٰ النحو التالي:

قال رحمه الله:

حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهُمْ لِي مَذْهَبٌ ﴿٣﴾ وَمَوَدَّةُ القُرْبَىٰ بِهـا أَتَوَسَّلُ

الشرح:

❁ **هذه هي أولى المسائل التي اشتملت عليها المنظومة:** في بيان

مذهب وعقيدة أهل السنة والجماعة السلف الصالح وأتباعهم إلىٰ يوم الدين في صحابة النبيِّ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، مع بيان عقائد المخالفين للسلف، كالرافضة الحاقدة علىٰ الإسلام وأهله، والخوارج النواصب الذين نصبوا العداوة لأصحاب محمد ﷺ.

وقبل البدء في بيان هذه المسألة لابدَّ من تعريف الصحابي:

فالصحابيُّ هو: من لقي النبيَّ ﷺ مؤمنًا به، ومات علىٰ ذلك، ولو تخلَّل ذلك ردَّةٌ علىٰ الأصحِّ.

والأدلَّة علىٰ فضل الصحابة، ووجوب محبَّتهم، ومشروعيَّة الترضي عنهم كثيرة جدًّا من الكتاب والسنة:

فمن القرآن الكريم:

﴿١﴾ قولُ الله تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

ففي هذه الآية الكريمة دليلٌ علىٰ محبَّة الله تعالىٰ للصحابة الكرام، وخصوصًا السابقين من المهاجرين والأنصار، وأنه قد رضي عنهم، وعن أعمالهم؛ بسبب مؤازرتهم لنبيِّه ﷺ، وأنهم قد رضُوا عنه بما أعدَّه لهم

ووعدهم به من النعيم المقيم والجزاء العظيم.

وإذ كان الأمر كذلك؛ فالواجب على المسلم أن يحبَّهم، ويعرف قدرهم الذي قد بيَّنه الله في هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات التي ستقف عليها قريبًا إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر ابنُ كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآية قولَه: يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعدَّ لهم من جنَّات النعيم والنعيم المقيم.

قال الشعبيُّ: السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مَنْ أَدْرَكَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ.[1]

وقال أبو موسى الأشعريُّ، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن سيرين، والحسن، وقتادة: هُمُ الَّذِينَ صَلَّوْا إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.[2]

---

(١) رواه سنيد بن داود في "تفسيره" كما في "الاستيعاب" لابن عبد البر (ص٢١-دار الأعلام)، وسعيد ابن منصور في "تفسيره" (٥/ ٢٧٠-سعد الحميد)، وابن شبة في "أخبار المدينة" (١/ ٢٦٦) برقم (٨٥٧ و٨٥٨-الكتب العلمية)، والطبري (١٤/ ٤٣٥-٤٣٦) برقم (١٧٠٩٩-١٧١٠٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٦٨) برقم (١٠٣٠٢)، والسراج في "تاريخه"، كما في "الاستيعاب" لابن عبد البر (ص١٩-دار الأعلام) وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (١/ ٧-٨) برقم (٥ و٦) وابن عبد البر في "الاستيعاب" (ص١٦-دار الأعلام)، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه وأبو الشيخ كما في "الدر المنثور" للسيوطي (٤/ ٢٦٩).

(٢) قول أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: رواه الطبري في "تفسيره" (١٤/ ٤٣٦) برقم (١٧١٠٧ و١٧١٠٨)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦/ ١٨٦٨) برقم (١٠٣٠٠)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (١/ ٨) برقم (٨)، وأبو الشيخ، كما في "الدر المنثور" (٤/ ٢٦٩). =

وقال محمد بن كعب القرظي: مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِرَجُلٍ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ. فَقَالَ: لَا تُفَارِقْنِي حَتَّى أَذْهَبَ بِكَ إِلَيْهِ. فَلَمَّا جَاءَهُ، قَالَ عُمَرُ: أَنْتَ أَقْرَأْتَ هَذَا هَذِهِ الْآيَةَ هَكَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَسَمِعْتَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أُرَى أَنَّا رُفِعْنَا رَفْعَةً لَا يَبْلُغُهَا أَحَدٌ بَعْدَنَا. فَقَالَ أُبَيٌّ: تَصْدِيقُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْجُمُعَةِ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجمعة:٣]، وفي سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية:١٠]، وفي الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ

= ☐ وقول سعيد بن المسيب رواه سنيد بن داود في "تفسيره"، كما في "الاستيعاب" لابن عبد البر (ص٢١)، وابن شبة في "أخبار المدينة" (١/ ٢٦٦) برقم (٨٥٦)، والطبري في "تفسيره" (١٤/ ٤٣٦-٤٣٧) برقم (١٧١٠٩-١٧١١٣)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦/ ١٨٦٨) برقم (١٠٣٠١)، والسراج في "تاريخه"، كما في "الاستيعاب" لابن عبد البر (ص١٩)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (١/ ٧) برقم (٢ و٣ و٤)، وابن عبد البر في "الاستيعاب" (ص١٦)، وابن المنذر وابن مردويه، كما في "الدر المنثور" (٤/ ٢٦٩).

☐ وقول محمد بن سيرين: رواه سنيد بن داود في "تفسيره" كما في "الاستيعاب" لابن عبد البر (ص٢١)، والطبري في "تفسيره" (١٤/ ٤٣٧) برقم (١٧١١٤)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (١/ ٨) برقم (٧)، وابن عبد البر في "الاستيعاب" (ص١٥ و٢١)، وابن المنذر، كما في "الدر المنثور" (٤/ ٢٦٩)، وذكره ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦/ ١٨٦٨).

☐ وقول الحسن: رواه ابن المنذر وأبو نعيم كما في "الدر المنثور" (٤/ ٢٦٩)، وذكره ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦/ ١٨٦٨).

☐ وقول قتادة: رواه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢٨٥)، ومن طريقه الطبري في "تفسيره" (١٤/ ٤٣٧) برقم (١٧١١٥)، وذكره ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦/ ١٨٦٨).

وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ ﴾ [الآية:٧٥]، إلىٰ آخر الآية.

ورواه ابنُ جرير[1] قال: وذُكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤها برفع الأنصار، عطفًا علىٰ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾.[2]

فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار، والذين اتَّبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سبَّهم أو أبغض أو سبَّ بعضهم، ولا سيَّما سيِّد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم؛ أعني الصدِّيقَ الأكبر والخليفةَ الأعظم أبا بكر بنَ أبي قحافة رضي الله عنه؛ فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يُعادون أفضل الصحابة، ويبغضونهم، ويسبُّونهم، عياذًا بالله من ذلك.

وهذا يدلُّ علىٰ أن عقولهم معكوسة! وقلوبهم منكوسة! فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن؛ إذ يسبُّون مَن رضي الله عنهم؟! وأما أهل السنة فإنهم يترضَّون عمَّن رضي الله عنه، ويسبُّون من سبَّه الله ورسولُه، ويوالون من يوالي الله، ويُعادُون من يعادي الله، وهم متَّبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدعون، ولهذا هم حزب الله المفلحون، وعبادُه المؤمنون.اهـ[3]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٣٧-٤٣٨) برقم (١٧١١٦)، ورواه أيضًا في «تفسيره» (١٤/ ٤٣٨) برقم (١٧١١٧) نحوه. ورواه أبو الشيخ، كما في «الدر المنثور» (٤/ ٢٦٨).

(٢) «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٣٩).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٠٣-طيبة).

(٢) ومن الأدلَّة أيضًا علىٰ فضل الصحابة، ووجوب محبَّتهم، ومشروعيَّة الترضِّي عنهم: قولُه تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح:٢٩].

فهذه الآية دليلٌ أيضًا علىٰ وجوب معرفة فضل صحابة رسول الله ﷺ، وعظم قدرهم؛ حيث قد نعتهم الله تعالىٰ بأجمل الأوصاف وأفضلها وأكملها، مما يدلُّ دلالة واضحة صريحة علىٰ محبَّة الله لهم، ورضاه عنهم.

وإذ كان الأمر كذلك؛ فإنَّ سبَّ الصحابة وبغضهم أمر لا يرضاه الله، ولا رسوله ﷺ، ولا أهلُ الطاعة لله ولرسوله، وهذا واضح من هذه الآية الكريمة ونظائرها، كما سيأتي في تفسيرها؛ حيث قال ابنُ كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: يخبر تعالىٰ عن محمَّد ﷺ أنَّه رسولُه حقًّا بلا شكٍّ ولا ريب، فقال: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾، وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل علىٰ كلِّ وصف جميل، ثم ثنَّىٰ بالثناء علىٰ أصحابه رضي الله عنهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ

بَيْنَهُمْ ﴾، كما قال ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: من الآية ٥٤]، وهذه صفةُ المؤمنين أن يكون أحدهم شديدًا عنيفًا علىٰ الكفَّار، رحيمًا بَرًّا بالأخيار، غضوبًا عبوسًا في وجه الكافر، ضحوكًا بشوشًا في وجه أخيه المؤمن؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: من الآية ١٢٣]، وقال النبيُّ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ»[1]، وقال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وشبَّك ﷺ بين أصابعه[2] كلا الحديثين في "الصحيح".

وقولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾، وصفهم بكثرة العمل، وكثرة الصلاة؛ وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله ﷻ والاحتساب عند الله تعالىٰ جزيل الثواب، وهو الجنَّة المشتملة علىٰ فضل الله ﷻ، وهو سَعة الرزق عليهم، ورضاهُ تعالىٰ عنهم؛ وهو أكبرُ من الأوَّل، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: من الآية ٧٢].

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٦٥)، ومسلم برقم (٢٥٨٦) واللفظ له، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٥)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

وقولُه جلَّ جلالُه: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، قال عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ يعني: السَّمت الحسن[1]، وقال مجاهدٌ وغيرُ واحد: يعني: الخشوع والتواضع[2]. وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عليُّ بن محمد الطنافسي، حدثنا حسين الجعفي، عن زائدة، عن منصور، عن مجاهد: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، قال: الخشوع. قلت: ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه! فقال: ربَّما كان بين عيني من هو أقسىٰ قلبًا من فرعون[3]. وقال السُّدِّي: الصلاة

(١) رواه محمد بن نصر المروزي في "قيام الليل" -"مختصر المقريزي"- (ص٥٢)، وابن جرير الطبري في "تفسيره" (٢٢/ ٢٦٤)، والبيهقي في "السنن" (٢/ ٢٨٦)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" (٧/ ٥٤١-٥٤٢).
(٢) قولُ مجاهد رواه سفيان الثوري في "تفسيره" (ص٢٧٨) برقم (٨٩٩)، وابن المبارك في "الزهد" (٥٦) برقم (١٧٤)، ووكيع في "الزهد" (٢/ ٥٩٨) برقم (٣٢٦)، وعبد الرزاق في "تفسيره" (٣/ ٢٨٨)، ومحمد بن نصر في "قيام الليل" (ص٥٢)، والطبري في "تفسيره" (٢٢/ ٢٦٤)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (١/ ٢٨٢)، وابن بشران في "الأمالي" (١٣٩) برقم (٣٠٥)، وابن حجر في "تغليق التعليق" (٤/ ٣١٣)، وعبد بن حميد، كما في "الدر المنثور" (٧/ ٥٤٢).
☐ ورواه ابن نصر في "قيام الليل" (ص٥٢) عن طاووس مثله.
(٣) وذكره ابن حجر في "الفتح" (٨/ ٥٨٢)، وعزاه لعبد بن حميد أيضًا.
☐ ورواه وكيع في "الزهد" (٢/ ٥٩٨) برقم (٣٢٧) عن سفيان عن منصور، عن مجاهد، قال: ليس بهذا الأثر الذي في الوجه، ولكنها الخشوع.
☐ ورواه الطبري في "تفسيره" (٢٢/ ٢٦٤)، والبيهقي في "سننه" (٢/ ٢٨٧)، من طريق جرير، عن منصور، قَالَ: قُلْتُ لِمُجَاهِدٍ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ أَهُوَ أَثَرُ السُّجُودِ فِي وَجْهِ الإِنْسَانِ؟ فَقَالَ: لاَ، إِنَّ أَحَدَهُمْ يَكُونُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مِثْلُ رُكْبَةِ الْعَنْزِ وَهُوَ كَمَا شَاءَ اللَّهُ -يَعْنِي مِنَ=

تحسِّن وجوههم. وقال بعضُ السلف: من كثرت صلاته بالليل حسُن وجهه بالنهار[1]. . . .

وقال بعضُهم: إن للحسنة نورًا في القلب، وضياءً في الوجه، وسَعةً في الرزق، ومحبَّةً في قلوب الناس.[2]

وقال أميرُ المؤمنين عثمان رضي الله عنه: ما أسرَّ أحدٌ سريرة إلا أبداها الله تعالىٰ علىٰ صفحات وجهه وفلتات لسانه. والغرضُ أن الشيء الكامن في النفس يظهر علىٰ صفحات الوجه، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالىٰ، أصلح الله عز وجل ظاهره للناس؛ كما رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَانِيَتَهُ. . . .

إلىٰ أن قال رحمه الله: . . . ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك -رحمة الله عليه- في رواية عنه، تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم؛ قال: لأنهم

= الشَّرِّ-، وَلَكِنَّهُ الْخُشُوعُ.

(١) يذكر عن شريك بن عبد الله النخعي القاضي رحمه الله، انظر «المجروحين» لابن حبان (١/ ٢٠٧) و(٢/ ١٤٢)، و«الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي (٢/ ٩٩)، و«المدخل إلىٰ كتاب الإكليل» للحاكم -دار الدعوة- (ص٦٣-٦٤)، و«الإرشاد في معرفة علماء الحديث» للخليلي (١/ ١٧٠-١٧١ - تجزئة السِّلفي) و«ذخيرة الحفاظ» لابن طاهر المقدسي (٤/ ٢٣٩٠-٢٣٩١-الفريوائي).

(٢) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاستقامة» (١/ ٣٥١-محمد رشاد)، وفي «الجواب الصحيح» (٦/ ٤٨٩-العاصمة)، وهو في «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٦٣٠)، والعلامة ابن القيم في «الداء والدواء» (ص٣٥-الكتب العلمية)، وفي «الوابل الصيب» (ص٤٣-الكتاب العربي)، و«مدارج السالكين» (١/ ٤٢٣-٤٢٤- الفقي)، و«روضة المحبين» (ص٤٤١-الكتب العلمية)، من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر؛ لهذه الآية[1]. ووافقه طائفةٌ من العلماء رضي الله عنهم علىٰ ذلك، والأحاديث في فضل الصحابة رضي الله عنهم والنهي عن التعرُّض لهم بمساءة كثيرةٌ، ويكفيهم ثناءُ الله عليهم ورضاهُ عنهم.[2] اهـ

(٣) ومن الأدلَّة الَّتي جاءت صريحةً في وجوب محبَّة أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وبيان ما لهم من الفضل، وتجريم من تنقَّصهم أو تنقَّص واحدًا منهم، ذكرًا كان أو أنثىٰ، قولُ الله تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:٨-١٠].

فقد جاءت هذه الآيات في مدح المهاجرين والأنصار، وبيان نصرتهم لله

(١) رواه الخلال في «السنة» (٢/ ٤٧٨) برقم (٧٦٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٧)، ومن طريقه الضياء المقدسي في «النهي عن سبِّ الأصحاب» (١٣٦) برقم (٣٣-المزيدي)، وذكره ابن السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢١١)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٢٨-طيبة) و«شرح السنة» (١/ ٢٢٩)، والقرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٢٩٦ - ٢٩٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» باختصار (٧/ ٣٦٠-٣٦٢).

ولرسوله ﷺ، ممَّا يدلُّ دلالة صريحة علىٰ وجوب محبَّتهم، وعدم تنقُّصهم، ومعرفة قدرهم وفضلهم.

قال ابنُ كثير في تفسيره لهذه الآيات: يقول تعالىٰ مبيِّنًا حال الفقراء المستحقِّين لمال الفيء أنهم: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾، أي: خرجوا من ديارهم، وخالفوا قومهم؛ ابتغاء مرضاة الله ورضوانه، ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾، أي: هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين. ثم قال تعالىٰ مادحًا للأنصار، ومبيِّنًا فضلهم وشرفهم وكرمهم، وعدم حسدهم وإيثارهم غيرهم مع الحاجة، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين، وآمنوا قبل كثير منهم. قال عمرُ: وَأُوصِي الْخَلِيفَةَ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ كَرَامَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلُ، أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَأَنْ يَعْفُوَ عَنْ مُسِيئِهِمْ[1]. رواه البخاري ههنا أيضًا.

قولُه تعالىٰ: ﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾، أي: مِنْ كَرَمِهم وشَرَف أنفسهم يحبُّون المهاجرين، ويُواسونهم بأموالهم؛ قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد،

(١) رواه البخاري برقم (٤٨٨٨)، لكن سقط من متن الحديث عند ابن كثير: أَنْ يُهَاجِرَ النَّبِيُّ ﷺ. بعد قوله: مِنْ قَبْلِ.

حدثنا حميد، عن أنس، قال: قَالَ الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ! وَلَا أَحْسَنَ بَذْلًا فِي كَثِيرٍ! لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَإِ، حَتَّىٰ لَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ! قَالَ: «**لَا، مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ وَدَعَوْتُمُ اللَّهَ لَهُمْ...**»[1].

إلىٰ أن قال رَحِمَهُ اللهُ: ..... وقولُه تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ هؤلاء هُمُ القسم الثالث ممَّن يستحقُّ فقراؤهم من مال الفيء؛ وهم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم التابعون لهم بإحسان؛ كما قال في آية براءة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: من الآية ١٠٠]، فالتابعون لهم بإحسان هم المتَّبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السرِّ والعلانية؛ ولهذا قال تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ﴾، أي: قائلين: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٠٠ و٢٠٤)، والترمذي برقم (٢٤٨٧)، من طرق عن حميد عن أنس به. قال الترمذي: حسن صحيح غريب.

☐ ورواه أبو داود برقم (٤٨١٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ٥٣) برقم (١٠٠٠٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٥) برقم (٢١٧)، والبزار (١٣/ ٣٤٩) برقم (٦٩٧٨)، والحاكم (٢/ ٧٢) برقم (٢٣٦٨)، عن حماد عن ثابت عن أنس نحوه تامًّا ومختصرًا.

﴿وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾، أي: بغضًا وحسدًا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وما أحسن ما استنبط الإمامُ مالك رَحِمَهُ اللَّهُ من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسبُّ الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب؛ لعدم اتِّصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.(1)

---

(١) رواه الحميدي في «أصول السنة» -حسين سليم أسد- (٢/ ٣٥٩- آخر المسند) عن غير واحد عن مالك.

☐ وقد رواه الجوهري في «مسند الموطإ» (١١١-١١٢) برقم (٨٥)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٣٧٢)، وابن عبد البر في «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» (ص٣٦)، واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٧/ ١٢٦٨-١٢٦٩) برقم (٢٤٠٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٩١) عن معن بن عيسىٰ عن مالك.

☐ ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٧)، وأبو طاهر السِّلفي في «الطيوريات» (٨٩) برقم (٦٩) عن سوار بن عبد الله عن أبيه عن مالك.

☐ ورواه الجوهري في «مسند الموطإ» (١١١) برقم (٨٤) عن ابن القاسم عن مالك مختصرًا.

☐ وذكره القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (١/ ٩٠-الكتب العلمية) من رواية مصعب الزبيري وعبد الله بن نافع عن مالك، في قصة مع هارون الرشيد.

☐ ورواه ابن أبي زمنين في «أصول السنة» (٢٦٩) برقم (١٩٠-رياض الجنة) عن أبي جعفر الأبلي عن مالك مختصرًا. ولفظ معن بن عيسىٰ، قال: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: مَنْ سَبَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَيْسَ لَهُ فِي الْفَيْءِ حَقٌّ؛ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ الآيَةَ، هَؤُلاَءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ هَاجَرُوا مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ الآيَةَ، هَؤُلاَءِ الأَنْصَارُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾، قَالَ مَالِكٌ: فَاسْتَثْنَىٰ اللَّهُ ﷻ، فَقَالَ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ=

وقال إسماعيلُ بن عُلَيَّة عن عبد الملك بن عمير، عن مسروق، عن عائشة قالت: أُمِرْتُمْ بِالاِسْتِغْفَارِ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَسَبَبْتُمُوهُمْ! سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَذْهَبُ هَذِهِ الْأُمَّةُ حَتَّىٰ يَلْعَنَ آخِرُهَا أَوَّلَهَا**» رواه البغوي.(1)

إلى أن قال: ... وقال ابنُ جرير: حدثنا ابن عبد الأعلىٰ، حدثنا أبو ثور، عن معمر، عن أيُّوب، عن عكرمة بن خالد، عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ حتىٰ بلغ

= لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ الآيَةَ، فَالْفَيْءُ لِهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ، فَمَنْ سَبَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ، وَلاَ حَقَّ لَهُ فِي الْفَيْءِ.

(١) رواه الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» (٩/ ٢٨٢)، ومن طريقه البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٧٩-٨٠)، من طريق محمّد بن عبد الله بن نمير عن أبيه عن إسماعيل بن إبراهيم به.

☐ ورواه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٢٥٤-٢٥٥) برقم (٥٢٤١)، وابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» (٤٢٠-٤٢١)، من طريقين عن ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم -وزادا: ابن مهاجر- عن عبد الملك بن عمير به نحوه.

☐ ورواه الآجري في «الشريعة» (٥/ ٢٤٩٧-٢٤٩٨) برقم (١٩٨٨) عن إبراهيم بن الهيثم الناقد عن أبي معمر القطيعي عن ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر به، نحوه، إلا أنه سقط من إسناده مسروق.

فقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال إسماعيل بن عُلية) يظهر أنه وهم منه؛ فقد ظن أن إسماعيل ابن إبراهيم هو ابن عُلية؛ إذ لم يذكر في رواية البغوي اسم جده، والله أعلم.

وعليه فالإسناد ضعيف؛ لحال إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر؛ لاسيما وقد اضطرب في إسناده، لكن قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الموقوف له طريق أخرىٰ صحيحة؛ فقد أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٣٠٢٢)، من طريق هشام بن عروة عن أبيه، قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي، أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَبُّوهُمْ!.

﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠]، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ لِهَؤُلَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الآية: ٤١ من سورة الأنفال]، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ لِهَؤُلَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ حتى بلغ ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر:٧-١٠]، ثُمَّ قَالَ: اِسْتَوْعَبَتْ هَذِهِ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، وَلَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا لَهُ فِيهَا حَقٌّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ عِشْتُ لَيَأْتِيَنَّ الرَّاعِيَ وَهُوَ بِسَرْوِ حِمْيَرَ نَصِيبُهُ فِيهَا، لَمْ يَعْرَقْ فِيهَا جَبِينُهُ».[1] [2] اهـ

ومن نصوص السنَّة المطهَّرة التي جاءت صريحةً في وجوب محبَّة أصحاب النبيِّ ﷺ، وبيان ما لهم من الفضل، وتجريم من تنقَّصهم، أو

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٧٦) ومن طريقه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٩/ ٢٧٦).

☐ ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢٨٣-٢٨٤)، ومن طريقه البغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٣٦٢) وفي «شرح السنة» (١١/ ١٣٨)، عن معمر به نحوه.

☐ وتابع معمرًا عن أيوب حمادُ بن زيد وإسماعيلُ بن عُليَّة وعبدُ الرحمن بن الأصم؛ فرواية حماد أخرجها الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٣٠٦-٣٠٧)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٣٥١)، من طريقين عنه.

☐ ورواية ابن علية أخرجها النسائي برقم (٤١٤٨).

☐ ورواية عبد الرحمن بن الأصم أخرجها ابن زنجويه في «الأموال» (١/ ١٠٨-١٠٩) برقم (٨٤).

والحديث صححه الألباني في «الإرواء» (١٢٤٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» باختصار (٨/ ٦٨-٧٤).

تنقَّص واحدًا منهم، ذكرًا كان أو أنثىٰ ما يلي:

(١) ما ثبت عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».[1]

(٢) وما ثبت عن أنس بن مالك قال: قَالَ أُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نُسَبُّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا».[2]

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٥٤١).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «زوائده علىٰ فضائل الصحابة» (١/ ٦١-٦٢) برقم (٨-ابن الجوزي، ط ٢)، والمحاملي في «الأمالي» (٩٧) برقم (٥٤)، والخلال في «السنة» (٣/ ٥١٥) برقم (٨٣٣)، والطبراني في «الدعاء» (٥٨١) برقم (٢١٠٨)، والآجري في «الشريعة» (٥/ ٢٥٠٢-٢٥٠٣) برقم (١٩٩٤ و١٩٩٥)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢١٢)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (٢٧٤) برقم (٤٥٦)، وأبو بكر الخطيب البغدادي في «الفوائد المنتخبة» -المهروانيات- (١٣٠-١٣١) برقم (٦٣)، وفي «تاريخ بغداد» (١٤/ ٢٤١)، من طريق علي بن يزيد الصدائي عن أبي شيبة الجوهري عن أنس به.

قال ابن عدي: علي بن يزيد هذا أظنه بصريًا، أحاديثُه لا تشبه أحاديث الثقات، إما أن يأتي بإسناد لا يتابع عليه، أو بمتن عن الثقات منكر، أو يروي عن مجهول.

وقال الخطيب: هذا حديث غريب من حديث أنس بن مالك عن النبيِّ ﷺ تسليمًا، تفرَّد بروايته أبو شيبة الجوهري عنه، ولا يعلم رواه عن أبي شيبة غير علي بن يزيد الصدائي.

وأبو شيبة الجوهري؛ قال البخاري وأبو حاتم: عنده عجائب.

وقال ابن حبان: يروي عن أنس ما ليس من حديثه، لا تحل الرواية عنه. =

(٣) وما ثبت عن عطاء -يعني ابن أبي رباح- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَفِظَنِي فِي أَصْحَابِي كُنْتُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَافِظًا، وَمَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ».(١)

(٤) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُونَ: فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ

= انظر: "ميزان الاعتدال" للذهبي (٣/ ١٦٢)، (٤/ ٤٦١).

وفي الباب عن ابن عباس وعمر، ولا يصحَّان. انظر: حاشية "محقق فضائل الصحابة" للإمام أحمد (١/ ٦١). وعن عطاء بن أبي رباح مرسلًا؛ وسيأتي تخريجه قريبًا.

قال الألباني في "ظلال الجنة في تخريج السنة" (٢/ ٤٨٣): وللحديث بعض الشواهد الموصولة المسندة ومن أجلها أوردت الحديث في "الصحيحة" (٢٣٤٠).

(١) رواه أحمد في "فضائل الصحابة" (٦٣-٦٤) برقم (١٠ و١١)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (١٢/ ١٧٩)، والبغوي في "الجعديات" (٢٠١٠)، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٠٠١)، من طريق فضيل بن مرزوق عن محمد بن خالد الضبي -وعند البغوي: محمد بن أبي مرزوق- عن عطاء به. قال الألباني في "ظلال الجنة في تخريج السنة" (٢/ ٤٨٣): مرسل صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، غير محمد بن خالد وهو الضبي، الملقب بسؤر الأسد، وهو صدوق. انظر: "الصحيحة" له، برقم (٢٣٤٠).

صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ».(١)

(٥) وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ -قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا- ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ».(٢)

(٦) وما ثبت عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَنَا أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ».(٣)

(٧) وبيَّن عليه السلام فضلهم وشرفهم؛ حيث قال ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي يَمُوتُ بِأَرْضٍ إِلَّا بُعِثَ قَائِدًا وَنُورًا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».(٤)

من هذه الأدلَّة التي جاءت صريحة في فضائل الصحابة أخذ الأسلافُ الصالحون منهجهم تجاه الصحابة الكرام، ومنهم صاحبُ المنظومة التي

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٤٩)، ومسلم برقم (٢٥٣٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٥٠)، ومسلم برقم (٢٥٣٥).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٥٣١)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي برقم (٣٨٦٥)، من حديث ابن بريدة عن أبيه. وقال: حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَرُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ أَبِي طَيْبَةَ عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا، وَهُوَ أَصَحُّ.

نحن بصددها، حيث بيَّن بأن منهجه وعقيدته في الصحابة هو حبُّهم، والترضي عنهم، ومعرفة فضلهم علىٰ غيرهم من الناس، والسكوت عمَّا شجر بينهم وعدم سبهم وعدم بغضهم.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِكُلِّهِمْ قَـدْرٌ وَفَضْـلٌ سَـاطِعٌ (٤) لَكِـنَّمَا الصِّـدِّيقُ مِـنْهُمْ أَفْضَـلُ

❁ **المسألة الثانية من المسائل التي اشتملت عليها المنظومة:** جاءت في بيان فضل الصحابة عمومًا، وبيان تفاضلهم فيما بينهم، غير أنهم ليس فيهم دنيء.

حقًّا إن من منهج أهل السنة والجماعة أن الصحابة الكرام بعضهم أفضل من بعض، وأن هذا التفضيل لا يدلُّ علىٰ نقص في المفضول، بل كل واحد منهم علىٰ جانب عظيم من الفضل والصفات الحميدة، كما فضَّل الله الرسل -عليهم الصلاة والسلام- بعضهم علىٰ بعض، حيث قد قضىٰ أن يكون بعضهم أفضل من بعض؛ كما قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٣]، وهكذا أصحابُ النبيِّ ﷺ بعضهم أفضل من بعض، حكمةً من الله وعدلًا، ورحمةً منه وإحسانًا وفضلًا.

ويعتقد أهلُ السنَّة أن أفضلهم علىٰ الإطلاق صاحبُ رسول الله ﷺ في الغار أبو بكر الصديق، ثمَّ عمر الفاروق، ثمَّ عثمان ذو النورين، ثم عليٌّ ذو السبطين رضي الله عنهم أجمعين؛ وذلك لدلالة النصوص علىٰ ذلك، ولإجماع من يُعتدُّ بإجماعهم من أهل العلم، وقد قلت في منظومتي «الفروق»:

وَخِيرَةُ الْأَصْحَابِ أَيْ صَحْبِ النَّبِي ... كَالْمُحْسِنِ الصِّدِّيقِ فَارُوقَ احْسِبِ

يَلِـيهِمَا عُثْمَـانُ ذُو النُّورَيْـنِ ... ثُـمَّ عَلِـيٌّ وَالِـدُ السِّبْطَيْـنِ

ويأتي في الفضل مِنْ بعدهم بقيَّةُ العشرة المبشَّرين بالجنة، وهم طلحة[١]، والـزبير[٢]، وعبـد الـرحمن بن عـوف[٣]، وأبـو عبيـدة بـن الجرَّاح[٤]، وسعد بن أبي وقـاص[٥]، وسعيـد بـن زيـد[٦] رضي الله عنهم، ثـمَّ يليهـم

(١) الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني أبو محمد، شجاع من الأجواد، أسلم قديمًا، وكان يقال له: طلحة الجود، وطلحة الخير، وطلحة الفياض، شهد أُحُدًا، وثبت مع رسول الله ﷺ، وبايعه علىٰ الموت، وشهد الخندق وسائر المشاهد، استشهد يوم الجمل سنة (٣٦هـ). انظر: "فضائل الصحابة" (٢/ ٩٢٨ ـ ٩٢٩)، بتحقيق وصي الله عبَّاس –الحاشية (١)- و"تهذيب تاريخ ابن عساكر" (٧/ ٧١).

(٢) هو الصحابي الجليل الزبير بن العوَّام بن خويلد بن أسد بن عبدالعُزَّىٰ بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي، أبو عبدالله، حواري رسول الله ﷺ، وابن عمَّته صفية بنت عبد المطَّلب، الصحابي الشجاع المقدام، هو أوَّل من سلَّ سيفه في الإسلام، شهد بدرًا وأُحُدًا وسائر المشاهد، قتله ابنُ جرموز غيلة بعد الجمل بوادي السباع في جمادىٰ الأولىٰ سنة (٣٦هـ). انظر: "فضائل الصحابة" (٢/ ٩١٤) الحاشية (١).

(٣) هو الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف بن عبدعوف بن عبدالحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، أبو محمد، من أكابر الصحابة، وهاجر الهجرتين، كان اسمه في الجاهلية عبدالكعبة أو عبد عمرو فسماه الرسول بعبدالرحمن، توفي سنة (٣٢هـ)، رضي الله عنه وأرضاه. انظر: "فضائل الصحابة" (٢/ ٩٠٨) الحاشية (١).

(٤) هو الصحابي الجليل عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب، ويقال: وهيب بن ضبَّة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري، المشهور بكنيته أبي عبيدة بن الجرَّاح، الصحابي السابق إلىٰ الإسلام، شهد المشاهد كلَّها، لقَّبه النبيُّ ﷺ بأمين هذه الأمَّة، توفي رضي الله عنه بطاعون عمواس بالشام سنة (١٨هـ)، رضي الله عنه وأرضاه. انظر: "فضائل الصحابة" (٢/ ٩٢٢) الحاشية(١).

(٥) هو سعد بن أبي وقَّاص مالكِ بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق، الصحابي الجليل، أسلم وعمره ١٧ سنة، وشهد بدرًا، كان مستجاب الدعوة بدعوة المصطفىٰ ﷺ له: «اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ»، مات سنة (٥٥هـ)، رضي الله عنه وأرضاه. انظر: "فضائل الصحابة" (٢/ ٩٣٥) –الحاشية (٤)- و"أسد الغابة" (٢/ ٢٩٠).

(٦) هو الصحابي الجليل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، أبو الأعور، من خيار الصحابة، هاجر إلىٰ المدينة، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ولد بمكة سنة ٢٢ قبل الهجرة،=

المهاجـرون[١]، ثم الأنصار، ثم بعد ذلك أهل بدر[٢]، ثم أهل بيعة الرضوان[٣]، ثم من أسلم من قبل الفتح وقاتل، ثم من أسلم من بعد الفتح

= وتوفي بالمدينة سنة (٥١هـ). انظر: "الأعلام" للزركلي (٣/ ٩٤).

(١) المهاجرون : هم من هاجروا من بلادهم إلىٰ الحبشة خوفًا علىٰ دينهم وأنفسهم. والهجرة في عهد النبيِّ ﷺ كانت هجرتين:

الأولىٰ: الهجرة إلىٰ الحبشة وهي علىٰ مرحلتين. المرحلة الأولىٰ: كان عدد المهاجرين فيها اثني عشر رجلًا، وأربع نسوة، ومنهم عثمان بن عفان وزوجته رُقيَّة بنتُ رسول الله ﷺ، فأقاموا في الحبشة في أحسن حال. فلما وصل خبرهم إلىٰ مكة، بدأت المرحلة الثانية من المهاجرين للهجرة، وكان عددهم في هذه المرحلة ثلاثة وثمانون رجلًا، وثمان عشرة امرأة.

والهجرة الثانية: هي من مكَّة إلىٰ المدينة، أولهم فيما قيل: أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وقيل: مصعب بن عمير، فقدموا علىٰ الأنصار في دورهم، فآوَوهم، ونصروهم، وفشا الإسلامُ بالمدينة، ثم أَذِنَ اللّه لرسول اللّه ﷺ في الهجرة، فخرج من مكة يوم الاثنين في شهر ربيع الأوّل، وقيل: في صفر، وله إذ ذاك ثلاث وخمسون سنة، ومعه أبو بكر الصديق، وعَامرُ بن فُهَيْرَةَ مولىٰ أبي بكر، ودليلهم عبد اللّه بن الأُرَيْقِط اللَّيثي. "زاد المعاد" (١/ ٩٧-٩٨ و١٠١) بتصرُّف واختصار.

وقيل: المهاجرون والأنصار هم من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية . قاله الشعبي، وقيل: هم الذين صلوا إلىٰ القبلتين مع النبي ﷺ. قاله سعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة، راجع "الاستيعاب" لابن عبد البر (ص١٦٥).

(٢) بدر موقع في المدينة، وقعت فيه معركة بدر الكبرىٰ في السابع عشر من رمضان سنة ثنتين من الهجرة، وسبب هذه الغزوة لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلًا من الشام، ندب المسلمين إليهم، وقال: «**هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعلَّ الله ينفِّلكموها**»، وانتصر المسلمون في هذه المعركة انتصارًا عظيمًا.

(٣) تسمَّىٰ هذه البيعة بيعة الرضوان وبيعة الشجرة، وسبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ، قال حين بلغه أن عثمان قد قُتل: «**لا نبرح حتىٰ نناجز القوم**»، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلىٰ البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة.وأن أوَّل من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان: أبو سِنان الأَسَدي، وكانت هذه البيعة سنة ستٍّ للهجرة النبويَّة. "سيرة ابن هشام"، بتصرف واختصار (ص٢٧٩).

وقاتل، ثم بقية الصحابة، وأنَّ كل واحد منهم علىٰ فضل عظيم وجانب من الخير كبير.

وفيما يلي أيُّها القارئ الكريم سأورد بعضًا من فضائل الخلفاء الأربعة الراشدين، وكذلك بعضًا من فضائل بعض الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، فضع عصا الترحال عندها، واستفد من فضائلهم الجليلة ومناقبهم الجميلة، وسر علىٰ آثارهم النبيلة، واصدق في محبَّتهم تحشر في زمرتهم؛ فإن المرء مع من أحبَّ يوم القيامة:

فمن فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه[1] التي وردت بها النصوص الشرعية:

من القرآن الكريم:

(١) قولُ الله تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة الزمر: ٣٣].

---

(١) هو الصحابي الجليل عبدالله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي، أبو بكر الصديق، أول الخلفاء الراشدين، ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر بمكَّة، كان من سادات قريش، وغنيًّا من موسريهم، عالمًا بأنساب القبائل وأخبارها، وكان يلقَّب بعالم قريش، هو أوَّل من آمن بالنبيِّ ﷺ من الرجال ورفيقه ومؤنسه في الهجرة، ثاني اثنين إذ هما في الغار، أفضل الأمة وخيرها بعد النبيِّ ﷺ، شهد المشاهد كلَّها، بويع له بالخلافة بعد وفاة النبيِّ ﷺ سنة (١١هـ)، فحارب المرتدين ومانعي الزكاة، وافتتحت في إمارته الشام وقسم كبير من العراق، كان أبيض، نحيفًا، خفيف العارضين، معروق الوجه، ناتئ الجبهة، جعدًا، مشرف الوركين، خطيبًا لسنًا، عارفًا بوجوه الكلام، شجاعًا، توفي لثمان بقين من جمادىٰ الآخرة سنة (١٣هـ) وهو ابن ٦٣سنة، خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشرون يومًا. انظر: "فضائل الصحابة" (١/ ٧٦-٧٧) للإمام أحمد- الحاشية (١)، و"أسد الغابة" (٣/ ٢٠٥).

(٢) وقولُه تعالىٰ في حقِّ نبيِّه ﷺ وحقِّ أبي بكر رضي الله عنه إذ هما في الغار: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: من الآية ٤٠].

ومن السنة المطهَّرة ما يلي:

(١) ما ثبت عن البراء رضي الله عنه، قال: اِشْتَرَىٰ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مِنْ عَازِبٍ رَحْلًا بِثَلَاثَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَازِبٍ: مُرِ الْبَرَاءَ فَلْيَحْمِلْ إِلَيَّ رَحْلِي. فَقَالَ عَازِبٌ: لَا، حَتَّىٰ تُحَدِّثَنَا كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ، وَالْمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمْ؟ قَالَ: اِرْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا -أَوْ: سَرَيْنَا- لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّىٰ أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصَرِي هَلْ أَرَىٰ مِنْ ظِلٍّ فَآوِي إِلَيْهِ، فَإِذَا صَخْرَةٌ، أَتَيْتُهَا فَنَظَرْتُ بَقِيَّةَ ظِلٍّ لَهَا فَسَوَّيْتُهُ، ثُمَّ فَرَشْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اِضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي هَلْ أَرَىٰ مِنَ الطَّلَبِ أَحَدًا، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَىٰ الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ.

قَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ. سَمَّاهُ، فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَهَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَبَنًا لَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ الْغُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ: هَكَذَا، ضَرَبَ إِحْدَىٰ كَفَّيْهِ بِالْأُخْرَىٰ، فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِدَاوَةً عَلَىٰ فَمِهَا خِرْقَةٌ، فَصَبَبْتُ عَلَىٰ اللَّبَنِ حَتَّىٰ بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَوَافَقْتُهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقُلْتُ: اِشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَشَرِبَ حَتَّىٰ رَضِيتُ، ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بَلَىٰ»، فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ ابْنُ جُعْشُمٍ عَلَىٰ فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**».[1]

(٢) وأيضًا ما ثبت عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**».[2]

(٣) وما جاء عن أنس رضي الله عنه: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ حَدَّثَهُ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي الْغَارِ -وَقَالَ مَرَّةً: وَنَحْنُ فِي الْغَارِ-: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، قَالَ: فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ**

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٥٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٥٦).

ثَالِثُهُمَا؟!».[1]

(٤) وما رواه أبو هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ**»، فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: وَهَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.[2]

(٥) وعن الحكم قال: سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ: عُمَرُ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ عُمَرَ؟ فَقَالُوا: بَلَىٰ. فَسَكَتَ!).[3]

(١) رواه أحمد (١/ ٤) واللفظ له، والبخاري برقم (٣٩٢٢) و(٣٦٥٣) و(٤٦٦٣)، ومسلم برقم (٢٣٨١)، والترمذي برقم (٣٠٩٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا يُعْرَفُ مِنْ حَدِيثِ هَمَّامٍ تَفَرَّدَ بِهِ. وَقَدْ رَوَىٰ هَذَا الْحَدِيثَ حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ هَمَّامٍ نَحْوَ هَذَا.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٢٥٣)، وابن ماجه برقم (٩٤)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٢٧٣-٢٧٤) برقم (٦٨٥٨) وغيرهم، من طرق عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٤٨٨، تحت رقم٢٧١٨).

(٣) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٩٥) برقم (٤٤)، وابنه عبد الله في «السنة» (٢/ ٥٨٣-٥٨٤) برقم (١٣٧٨ و١٣٧٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٩٨-١٩٩)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧/ ١٣٢٧) برقم (٢٥٢٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٥٨) و(٤٤/ ٢٠١-٢٠٢ و٢٠٨). قال أبو نعيم: صحيح مشهور من حديث شعبة عن الحكم. قال محقق «الفضائل» الشيخ وصي الله عباس: إسناده صحيح

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة النبوية» (١/ ٣٠٨-قرطبة): وقد تواتر عنه=

(٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».[١]

ومن فضائل عمر بن الخطاب[٢] رضي الله عنه:

(١) ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «جُعِلَ الحَقُّ عَلَىٰ لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ».[٣]

= -أي: علي رضي الله عنه- أنه كان يقول على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. روي ذلك عنه من أكثر من ثمانين وجهًا، ورواه البخاري وغيره؛ ولهذا كانت الشيعة المتقدمون كلهم متفقين على تفضيل أبي بكر وعمر، كما ذكر ذلك غير واحد. وانظر: "مجموع الفتاوى" له (٤/ ٤٠٧ و٤٢٢) و(٢٨/ ٤٧٣) و(٣٥/ ١٢٤ و١٨٥)، انظر "فضائل الصحابة" (١/ ٢٩٩).

(١) رواه مسلم برقم (١٠٢٨).

(٢) هو الصحابي الجليل عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، أبو حفص أمير المؤمنين الفاروق ثاني الخلفاء الراشدين، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، دخل في الإسلام قبل الهجرة بخمس سنين، استشهد رضي الله عنه بيد أبي لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة غيلة وهو في الصلاة سنة (٢٣هـ).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٢/ ٤٠١)، وفي "فضائل الصَّحابة" حديث رقم (٣١٥)، وإسناده حسن.

وهذا الحديث رواه بلفظه ومعناه أبو هريرة وابن عمر وأبو ذر رضي الله عنهم جميعًا.

(٢) وما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ. فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأُ إِلَىٰ جَانِبِ قَصْرٍ. فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ. فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَىٰ عُمَرُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟.[١]

(٣) وما جاء أيضًا أن محمد بن سعد بن أبي وقاص أخبره؛ أَنَّ أَبَاهُ سَعْدًا قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ. فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ. فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي. فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ. ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ! أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ. أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفَظُّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».[٢]

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٨٠)، ومسلم برقم (٢٣٩٥) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٨٣)، ومسلم برقم (٢٣٩٦) واللفظ له.

(٤) وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُرِيتُ أَنِّي أَنْزِعُ عَلَىٰ حَوْضِي أَسْقِي النَّاسَ. فَجَاءَنِي أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ الدَّلْوَ مِنْ يَدِي لِيُرَوِّحَنِي، فَنَزَعَ دَلْوَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ. فَجَاءَ ابْنُ الْخَطَّابِ فَأَخَذَ مِنْهُ. فَلَمْ أَرَ نَزْعَ رَجُلٍ قَطُّ أَقْوَىٰ مِنْهُ، حَتَّىٰ تَوَلَّىٰ النَّاسُ، وَالْحَوْضُ مَلْآنُ يَتَفَجَّرُ**»[1].

(٥) ما جاء أن رسول الله ﷺ خرج لإحدىٰ الغزوات فنذرت جارية إن عاد رسول الله لتضربنَّ عليه بالدُّف ولتغنِّي، فلما رجع رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قالت: يا رسول الله إنِّي نذرت إن سلَّمك الله أن أضرب عليك بالدف وأتغنَّىٰ، قال: إن كنت نذرت فافعلي فشرعت تضرب في الدف، دخل أبو بكر وهي تضرب، دخل عثمان وهي تضرب، دخل علي وهي تضرب، فدخل عمر فوضعت الدُّف تحت استها وجلست عليه. قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخاف مِنْك يا عُمَر!**»[2].

(٦) وعن الشَّعبيِّ عن وهب السُّوائي قال: **خطبنا عليٌّ رضي الله عنه فقال: من خير هذه الأمَّة بعد نبيِّها؟ فقلت: أنت يا أمير المؤمنين، قال: لا، خيرُ هذه الأمَّة بعد نبيِّها أبو بكر رضي الله عنه، ثمَّ عمر رضي الله عنه، وما نبعد أنَّ السَّكينة تنطق**

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٨٢) وبرقم (٧٠٢٢) وفي مواضع أخرىٰ، ومسلم برقم (٢٣٩٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في "زوائد المسند" (٨٣٤- الرسالة)، وفي السنة (٢/ ٥٨٢) برقم (١٣٧٤) وفي "زوائده علىٰ فضائل الصحابة" (١/ ١٠٠-١٠١) برقم (٥٠)، وحسن إسناده محقق "الفضائل".

علىٰ لسان عمر رضي الله عنه[1].

(٧) وما جاء من حديث حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب، عن أبيه، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ رَأَيْتُ قَدَحًا أُتِيتُ بِهِ، فِيهِ لَبَنٌ. فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّىٰ إِنِّي لَأَرَىٰ الرِّيَّ يَجْرِي فِي أَظْفَارِي. ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**»، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الْعِلْمَ**»[2].

(٨) وعن عائشة رضي الله عنها عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ؛ فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ**»، قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: تَفْسِيرُ «مُحَدَّثُونَ»: مُلْهَمُونَ.[3]

ومن فضائل عثمان بن عفَّان[4] رضي الله عنه:

(١) ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **مُضْطَجِعًا فِي**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في "فضائل الصحابة" (١/ ٩٥) برقم(٤٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٨٢) و(٣٦٨١) و(٧٠٠٢) وفي مواضع أخرىٰ، ومسلم برقم (٢٣٩١) واللفظ له.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٣٩٨).

(٤)هو الصحابي الجليل عثمان بن عفَّان بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أمير المؤمنين، ذو النورين، صهر رسول الله ﷺ علىٰ ابنتيه، ثالث الخلفاء الراشدين، ولد بمكَّة، وأسلم بعد البعثة بقليل، وكان غنيًّا شريفًا في الجاهلية، ومن أعظم أعماله تجهيز جيش العسرة بماله، أتمَّ جمع القرآن وجمع المسلمين علىٰ مصحف واحد، استشهد وهو يقرأ القرآن صبيحة عيد الأضحىٰ سنة (٣٥هـ). انظر: "فضائل الصحابة" (١/ ٥٤٧) الحاشية رقم (١)، و"أسد الغابة" (٣/ ٣٧٦).

بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ. فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ. ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ. ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَسَوَّىٰ ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ: ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ -فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ، وَلَمْ تُبَالِهِ. ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ. ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ؟! فَقَالَ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟!**»[1].

(٢) وما رواه أبو موسىٰ الأشعري ﵁، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حَائِطِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ يَرْكُزُ بِعُودٍ مَعَهُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ، إِذْ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ. فَقَالَ: «**افْتَحْ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، قَالَ: فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. قَالَ: ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ. فَقَالَ: «**افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، قَالَ: فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ. فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ. قَالَ: فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَىٰ بَلْوَىٰ تَكُونُ**»، قَالَ: فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ. قَالَ: فَفَتَحْتُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. قَالَ: وَقُلْتُ الَّذِي قَالَ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ صَبْرًا، أَوِ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ[2].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٠١).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٩٣)، ومسلم برقم (٢٤٠٣).

ومن فضائل عليِّ بن أبي طالب[1] ﵁:

(١) ما ثبت عن عامر بن سعد بن أبي وقَّاص، عن أبيه ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ ﵁: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»، قَالَ سَعِيدٌ: فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُشَافِهَ بِهَا سَعْدًا، فَلَقِيتُ سَعْدًا، فَحَدَّثْتُهُ بِمَا حَدَّثَنِي عَامِرٌ، فَقَالَ: أَنَا سَمِعْتُهُ، فَقُلْتُ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ؟ فَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَىٰ أُذُنَيْهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، وَإِلَّا فَاسْتَكَّتَا.[2]

(٢) وما جاء من حديث أبي هريرة ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ**»، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﵁: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَىٰ لَهَا. قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَقَالَ: «**امْشِ، وَلَا تَلْتَفِتْ، حَتَّىٰ يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ**»، قَالَ: فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا، ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا

---

(١) هو الصحابي الجليل عليُّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن، ولد قبل البعثة بعشر سنين علىٰ الصحيح، فرُبِّي في حجر النبيِّ ﷺ ولم يفارقه، استشهد ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، ومدَّة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف الشهر. انظر: "الإصابة" (٤/ ٤٦٤)، و"البداية والنهاية" (٧/ ٢٢٣) بتصرُّف واختصار.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٤٠٤).

□ ورواه البخاري برقم (٣٧٠٦) و(٤٤١٦)، ومسلم برقم (٢٤٠٤)، من طريقين آخرين عن سعد ﵁ نحوه.

رَسُولَ اللَّهِ، عَلَىٰ مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُمْ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللَّهِ**».[1]

(٣) وما جاء عن سهلِ بن سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: أُسْتُعْمِلَ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ آلِ مَرْوَانَ، قَالَ: فَدَعَا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ. فَأَمَرَهُ أَنْ يَشْتُمَ عَلِيًّا، قَالَ: فَأَبَىٰ سَهْلٌ. فَقَالَ لَهُ: أَمَا إِذَا أَبَيْتَ، فَقُلْ: لَعَنَ اللَّهُ أَبَا التُّرَابِ، فَقَالَ سَهْلٌ: مَا كَانَ لِعَلِيٍّ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَبِي التُّرَابِ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ إِذَا دُعِيَ بِهَا. فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنَا عَنْ قِصَّتِهِ، لِمَ سُمِّيَ أَبَا التُّرَابِ؟ قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ، فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: «**أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟**» فَقَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: «**انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟**» فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، فَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «**قُمْ أَبَا التُّرَابِ! قُمْ أَبَا التُّرَابِ**».[2]

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٠٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٧٠٣) و(٦٢٨٠)، ومسلم برقم (٢٤٠٩) واللفظ له. ولفظ البخاري في الموضع الأول: عن عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَىٰ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فَقَالَ: هَذَا فُلاَنٌ -لأَمِيرِ الْمَدِينَةِ- يَدْعُو عَلِيًّا عِنْدَ الْمِنبَرِ. قَالَ: فَيَقُولُ مَاذَا؟ قَالَ: يَقُولُ لَهُ: أَبُو تُرَابٍ. فَضَحِكَ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا سَمَّاهُ إِلاَّ النَّبِيُّ ﷺ، وَمَا كَانَ لَهُ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ. فَاسْتَطْعَمْتُ الْحَدِيثَ سَهْلاً، =

وإليك أيضًا أيُّها القارئ المحبُّ للصحابة الكرام بعضًا من فضائل بقيَّة العشرة المبشَّرين بالجنة: وهم طلحة والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضي الله عنهم أجمعين.

فمن فضائل طلحة رضي الله عنه:

ما ثبت عن المعتمر (وهو ابنُ سليمان) قال: سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: لَمْ يَبْقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ، عَنْ حَدِيثِهِمَا.[1]

ومن فضائل الزبير رضي الله عنه:

ما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ. ثُمَّ نَدَبَهُمْ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ. ثُمَّ نَدَبَهُمْ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**».[2]

وما ثبت أيضًا عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ مَعَ النِّسْوَةِ فِي أُطُمِ حَسَّانٍ، فَكَانَ يُطَأْطِئُ لِي مَرَّةً فَأَنْظُرُ،

= وَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ، كَيْفَ؟ قَالَ: دَخَلَ عَلِيٌّ عَلَىٰ فَاطِمَةَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَاضْطَجَعَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟». قَالَتْ: فِي الْمَسْجِدِ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَ رِدَاءَهُ قَدْ سَقَطَ عَنْ ظَهْرِهِ، وَخَلَصَ التُّرَابُ إِلَىٰ ظَهْرِهِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ، فَيَقُولُ: «اجْلِسْ يَا أَبَا تُرَابٍ».

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٢٢)، ومسلم برقم (٢٤١٤) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٨٤٧) و(٢٩٩٧) و(٣٧١٩) و(٧٢٦١)، ومسلم برقم (٢٤١٥) واللفظ له.

وَأُطَأْطِئُ لَهُ مَرَّةً فَيَنْظُرُ، فَكُنْتُ أَعْرِفُ أَبِي إِذَا مَرَّ عَلَىٰ فَرَسِهِ فِي السِّلَاحِ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ.

قَالَ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي، فَقَالَ: وَرَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟! قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ! لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ أَبَوَيْهِ. فَقَالَ: «**فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**».[1]

ومن فضائل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

ما رواه عبدُ الرحمن بن الأخنس، قال: خَطَبَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَنَالَ مِنْ فُلَانٍ، فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ**»، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَ الْعَاشِرَ. قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ وَحَجَّاجٌ فِي حَدِيثِهِمَا: ثُمَّ ذَكَرَ نَفْسَهُ. يَعْنِي الْعَاشِرَ.[2]

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٢٠)، ومسلم برقم (٢٤١٦) واللفظ له.

(٢) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في "فضائل الصحابة" (١/ ١٤٢-١٤٣) برقم (٨٧).

□ ورواه الطيالسي في "مسنده" (١/ ١٩٢) برقم (٢٣٣-التركي)، وأحمد في "مسنده" (١/ ١٨٨)، وفي "فضائل الصحابة" (٢٧١-٢٧٢) برقم (٢٥٦ و٢٥٧)، وأبو داود برقم (٤٦٤٩)، والترمذي عقب حديث برقم (٣٧٥٧) وحسَّنه، والنسائي في "الكبرىٰ" (٥/ ٤٧ و٥٨ و٦٠) برقم (٨١٥٦ و٨٢٠٤ و٨٢١٠)، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٤٢٨ و١٤٢٩ و١٤٣٠ و١٤٣١)، وأبو يعلىٰ (٢/ ٢٥٩) برقم (٩٧١)، والشاشي في "مسنده" (١/ ٢٣٤-٢٣٥ و٢٣٧ و٢٤٧) برقم (١٩٠ و١٩١ و١٩٢ و١٩٤ و١٩٥ و٢١٠)، وابن حبان (١٥/ ٤٥٤) برقم=

ومن فضائل أبي عبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنه:

ما ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**».[1]

ومن فضائل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

(١) ما جاء عن عبد الله بن شدَّادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ، غَيْرَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «**ارْمِ؛ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**».[2]

(٢) وما ثبت عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: أَرِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ: «**لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ**»، قَالَتْ: وَسَمِعْنَا صَوْتَ السِّلَاحِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ هَذَا؟**» قَالَ: سَعْدُ ابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ أَحْرُسُكَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّىٰ سَمِعْتُ غَطِيطَهُ.[3]

= (٦٩٩٣)، وابن بشران في "الأمالي" (١/ ٢٩) برقم (١٣)، والضياء المقدسي في "المختارة" (١٠٨٩ و١٠٩٠-مسند سعيد بن زيد)، من طرق عن الحر بن الصياح عن عبد الرحمن بن الأخنس بألفاظ متقاربة. قال الترمذي: حديث حسن. وصححه الألباني في تعليقه علىٰ "صحيح ابن حبان" (٦٩٥٤).

□ وللحديث طرق أخرىٰ عن سعيد بن زيد رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن سعيد بن زيد عن النبيِّ ﷺ.

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٤٤)، ومسلم برقم (٢٤١٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٠٥٩)، ومسلم برقم (٢٤١١) واللفظ له.

(٣) رواه البخاري برقم (٢٨٨٥) و(٧٢٣١)، ومسلم برقم (٢٤١٠) واللفظ له.

ومن فضائل سعيد بن زيد رضي الله عنه:

ما رواه عبدُ الرحمن بن الأخنس، قال: خَطَبَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَنَالَ مِنْ فُلَانٍ، فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ»، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَ الْعَاشِرَ. قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ وَحَجَّاجٌ فِي حَدِيثِهِمَا: ثُمَّ ذَكَرَ نَفْسَهُ. يَعْنِي الْعَاشِرَ.[1]

ثم يأتي في الفضل بعد ذلك المهاجرون، ومما ورد من فضائلهم:

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

ثمَّ بعد ذلك الأنصارُ -رضوان الله عنهم-،

(١) فقد أثنى الله عليهم بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

(٢) وكذلك ما ثبت عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ: ﴿إِذْ

(١) سبق تخريجه (ص٥٤).

هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: من الآية ١٢٢] بَنُو سَلِمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ، وَمَا نُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.[1]

(٣) وما جاء من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ».[2]

ثم يأتي في الفضل بعد ذلك أهلُ بدر، ومن فضائلهم ما جاء:

(١) عن عبيد الله بن أبي رافع -وهو كاتب عليٍّ- قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه وَهُوَ يَقُولُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ، فَقَالَ: «ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ؛ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا»، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَىٰ بِنَا خَيْلُنَا، فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ! فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ. فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا. فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَىٰ نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟!» قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنِّي كُنْتُ امْرَءًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ (قَالَ

(١) رواه البخاري برقم (٤٠٥١)، و(٤٥٥٨)، ومسلم برقم (٢٥٠٥) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٩٠٦)، ومسلم برقم (٢٥٠٦) واللفظ له.

سُفْيَانُ: كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا) وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا، وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ»، فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة:١].(١)

(٢) وما ثبت أيضًا عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزُّرقي، عن أبيه – وكان أبوه من أهل بدر – قال: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟**» قَالَ: «**مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ**» -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا-، قَالَ: «**وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ**».(٢)

ثم يأتي في الفضل أصحاب الشجرة، أهلُ بيعة الرضوان، رضي الله عنهم؛ ومن فضائلهم:

ما ثبت عن أبي الزبير؛ أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ، أَحَدٌ مِنَ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**»، قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ

(١) رواه البخاري برقم (٣٠٠٧) و(٣٩٨٣)، ومسلم برقم (٢٤٩٤) واللفظ له.
(٢) رواه البخاري برقم (٣٩٩٢).

اللَّهِ، فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: من الآية ٧١]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾**» [مريم: ٧٢].(١)

ثم يأتي في الفضل بعد ذلك من أسلم قبل الفتح وقاتل، يليهم من أسلم بعد الفتح وقاتل.

وهم بقيَّة الصحابة رضوان الله عليهم، والذين ثبت لهم من الفضل العظيم ما جاءت به عمومات الأحاديث الصحيحة؛ والتي منها:

ما ثبت عن أبي جمرة: سَمِعْتُ زَهْدَمَ بْنَ مُضَرِّبٍ: سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ** -قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا- **ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**».(٢)

وإذ كان الأمر كما علمت من سير الصحابة الكرام: فإن المسلمين الصادقين في إسلامهم يحبُّون أصحاب رسول الله ﷺ، وكلَّما ذكر الصحابي في مقام، قالوا: (رضي الله عنه)، ويعترفون لهم بالفضل، وأن الله فتح جُلَّ الدنيا على أيديهم، وأنهم باعوا أنفسهم من خالقهم وبارئهم؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٩٦).
(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٥٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٣٥).

أَشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١]، فكان أصحاب رسول الله ﷺ من أوَّل من ارتبط بهذه البيعة، واغتبط بها، واقتنع بها، وأسهم إسهامًا عظيمًا في سبيل الوفاء، لينال الجزاء الحسن، ولم يبدِّلوا تبديلًا.

قلت: وبعد إيراد هذه النصوص من الكتاب والسنة الدالَّة علىٰ بيان فضائل الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- أجمعين، يجب علينا جميعًا أن نوليَ هذه المسألة اهتماما بالغا، أعني مسألة محبَّة الصحابة محبَّة شرعيَّة وسطًا بين الغلاة والجفاة، ومعرفة فضلهم، لأنها من المسائل المهمَّة في باب العقائد؛ التي يجب علىٰ المسلم معرفتها، والتزام منهج أهل السنة والجماعة فيها، وعدم مخالفتهم، ولأهمية هذه المسألة فهي تحتاج إلىٰ بعض التفصيل والوقفات؛ ومنها:

الوقفة الأولى: بيانُ منهج أهل السنَّة والجماعة تجاه صحابة رسول الله ﷺ عمومًا:

فأهلُ السنَّة والجماعة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين **الروافض والخوارج**، فهم يحبُّونَهم، ويعتقدون أن حبَّهم فريضة؛ وذلك اعتمادًا منهم علىٰ النصوص التي جاءت في ذكر فضائلهم وصفاتهم، وحبِّ الله ﷻ لهم،

وأنه قد رضي عنهم، وكذلك رسولُه ﷺ قد أحبَّهم، وأمر أمَّته بحبِّهم، فحبُّهم فريضة علىٰ كل مسلم ومسلمة، وتنزيلهم منازلَهم في السابقة والفضل كما جاء مبينا في النصوص الكريمة ومنها ما ورد في هذا الشرح المختصر.

الوقفة الثانية: في بيان منهج أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

فأهلُ السنة والجماعة بجانب محبَّتهم للصحابة الكرام، والترضي عنهم؛ **فإنَّهم يسكتون عمَّا شجر بينهم**، ويعتبرون ما حصل بينهم من الاختلافات اجتهادات، فلا يخوضون في ذلك، ويعتقدون أن المصيب منهم له أجران؛ أجر علىٰ اجتهاده، وأجر علىٰ صوابه، وأن المخطئ منهم له أجر علىٰ اجتهاده، وخطؤه معفوٌّ عنه فيه.

ومما يجب أيضًا علىٰ المسلم اتجاه ما حصل بين الصحابة من القتال والفتن **عدمُ البحث في هذا الموضوع، واجتنابُه**، والاقتداءُ بالسلف الصالح في هذا الباب العظيم من أبواب العقيدة الإسلامية، عاملين بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

كما أنه علىٰ المسلم الاعتذارُ لهم بما سبق بيانُه؛ من أنهم مجتهدون، إن

أصابوا فلهم أجران، وإن أخطؤوا فلهم أجر اجتهادهم وخطؤهم معفوٌّ عنهم فيه، ويُعتذر لهم أيضًا **بكونهم بشرًا غير معصومين عن الخطأ**، وأن لهم من **الفضائل والمناقب والأعمال الجليلة ما يُكفر الله بها ما حصل وبدر من بعضهم**، ولما لهم من **مزيَّة الصحبة** لرسول الله ﷺ، **والجهاد معه في سبيل الله** ما يجعل خطأهم مغتفرًا إن شاء الله.

الوقفة الثالثة:

ومما يجب التنبيه عليه: أنه على المسلم العاقل ألَّا يكون كأولئك الذين اتخذوا ما وقع بين الصحابة الكرام وقت الفتنة من الاختلاف والاقتتال سببًا للوقيعة بهم، والنيل من بعضهم، وسبِّهم، أو رمي بعضهم بصفات قبيحة كالجهل والغش والكذب والخديعة وغيرها من الألفاظ القبيحة؛ التي لا تصدر إلا عن ضال مُضلٍّ مبتدع، أو عن جاهل لم يعرف قدر أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يعرف معاني النصوص التي جاءت في الثناء عليهم وبيان فضائلهم، كالرافضة والخوارج، ومن تبعهم وانتهج نهجهم.

وأن يعلم المسلم بأن من انتهج هذا النهج السقيم **هم أعداءٌ للإسلام**، لم يقصدوا بذلك إلا تدمير الإسلام والقضاء عليه، ونشوء الفتنة بين المسلمين، وتفرقتهم، **وتشكيكهم في رعيلهم الأوَّل من هذه الأمة**، والله المستعان.

الوقفة الرابعة: في وجوب محبَّة من آمن من قرابة النبيِّ ﷺ واهتدى بهداه.

وأهلُ البيت هم: آل النبيِّ ﷺ الذين لا تجوز عليهم الصدقات، وهم **آل عليٍّ، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العبَّاس، وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبيِّ ﷺ وبناته**، رضوان الله عليهم أجمعين.

كما في الحديث الثابت عن يزيد بن حيان قال: اِنْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَىٰ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ، قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا؛ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ؛ لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا، وَمَا لَا فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَىٰ خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ** -فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ- ثُمَّ قَالَ: **وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»، فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ، أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ:

نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ.[١]

إذا عُلم ذلك، فإن منهج أهل السنة والجماعة في من آمن من أهل بيت النبيِّ ﷺ **محبَّتُهم والترضي عنهم، ومعرفة فضل قرابتهم للنبيِّ ﷺ**، والعمل بوصيَّة المصطفىٰ صلوات الله وسلامه عليه فيهم، وإكرامهم، **فلا يجوز بغضهم، وهضم حقهم أبدًا، من غير غُلُوٍّ فيهم، ولا جفاء لهم**، وأن محبَّتهم هي محبَّة للرسول ﷺ، وإكرامَهم إكرامٌ له.

وهم -أي: أهل السنة والجماعة- وسط بين الغالي في آل البيت وبين الجافي، فهم أهلُ الاعتدال والوسطية فيهم وفي غيرهم، وبذلك فهم يحبُّون من آمن من أهل البيت وكان له شرف الهداية علىٰ الدين وصحبة الرسول الكريم، بينما يتبرؤون ممن حاد عن الحق من أهل البيت ومات علىٰ الشرك.

ولقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورىٰ: من الآية ٢٣].

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآية: وقوله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفَّار قريش: لا

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٠٨).

أسألكم علىٰ هذا البلاغ والنصح لكم مالًا تعطونيه، وإنما أطلب منكم أن تكُفُّوا شرَّكم عنِّي، وتذروني أبلغ رسالات ربِّي، إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة. قال البخاري: حدَّثنا محمد بن بشَّار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، قال: سَمِعْتُ طَاوُسًا يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُرْبَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَجِلْتَ! إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ. فَقَالَ: «**إِلَّا أَنْ تَصِلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ**»[١] انفرد به البخاري، ورواه الإمام أحمد عن يحيىٰ القطان عن شعبة به[٢]، وهكذا روىٰ عامر الشعبيُّ والضحَّاك وعليُّ ابن أبي طلحة والعوفيُّ ويوسف بن مهران وغيرُ واحد، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مثلَه[٣]

(١) رواه البخاري برقم (٤٨١٨).

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٢٩)، ورواه البخاري برقم (٣٤٩٧) عن مسدد، عن يحيىٰ القطان، عن شعبة به، نحوه.

(٣) رواية الشعبي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أخرجها سعيد بن منصور كما في «فتح الباري» (٨/ ٥٦٥)، وعنه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٤)، وأحمد بن منيع في «مسنده» (١٥/ ١٩٦) برقم (٣٧٠٧- «المطالب العالية»)، والبزار (١١/ ٤٧٩) برقم (٥٣٦١ و٥٣٦٢)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٢٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٥)، والطبراني (١٢/ ٩١) برقم (١٢٥٦٩)، والحاكم (٢/ ٤٨٢) برقم (٣٦٦٠)، وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٨٥)، من طرق عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن ابن عباس بألفاظ متقاربة، بمعنىٰ حديث طاووس.

وزاد السيوطي نسبته في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٦): إلىٰ عبد بن حميد وابن مردويه.

قال البزار: هَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، ولاَ نَعْلَمُ لَهُ إِسْنَادًا أَحْسَنَ مِنْ=

وبه قال مجاهدٌ[١] وعكرمةُ[٢] وقتادةُ[٣] والسُّدِّيُّ[٤] وأبو مالك[٥] وعبدالرحمن ابن زيد بن أسلم[٦] وغيرُهم.[٧]

= هَذَا الإِسْنَادِ.

وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم.

□ ورواية الضحاك عنه أخرجها النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص٦٥٦)، وابن أبي حاتم وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٦).

□ ورواية علي بن أبي طلحة عنه أخرجها الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٥)، والطبراني (١٢/ ٢٥٤) برقم (١٣٠٢٦)، وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٦).

□ ورواية العوفي عنه أخرجها الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٥)، وعبد بن حميد وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٧).

□ ورواه الحاكم (٢/ ٤٨٢) وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٨٥)، من طريق هشيم عن حصين عن عكرمة عن ابن عباس معناه. وقال: صحيح علىٰ شرط البخاري.

□ ورواه الطبراني في «الصغير» (١/ ١٣٦) برقم (٢٠٥)، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٧).

□ وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣٣٦) برقم (٣٣٢٣) و(٧/ ١٩٩-٢٠٠) برقم (٧٢٦٤)، وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس معناه.

□ ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٩٩٦) برقم (١٥٤٦-الجوابرة) عن أبي مالك عن ابن عباس معناه.

(١) رواه الطبري (٢١/ ٥٢٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٢٨٧).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٤)، ومسدد في «مسنده» (١٣٥٩-«إتحاف الخيرة المهرة»)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٢٨٦-٢٨٧).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٩١)، والطبري (٢١/ ٥٢٦ و٥٢٧).

(٤) رواه الطبري (٢١/ ٥٢٧).

(٥) رواه الطبري (٢١/ ٥٢٦).

(٦) رواه الطبري (٢١/ ٥٢٧)

(٧) رواه الطبري (٢١/ ٥٢٧) عن الضحاك وعن عطاء بن دينار.

□ ورواه ابن سعد (١/ ٢٤) عن سعيد بن جبير.

وقد ثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خُمٍّ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».[١]

---

(١) رواه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٩٥)، والبزار (١٠/ ٢٣٢) برقم (٤٣٢٥)، والطبراني (٥/ ١٧٠) برقم (٤٩٨١ و٤٩٨٢)، والحاكم (٣/ ١٦٠) برقم (٤٧١١)، من طريقين عن الحسن ابن عبيد الله النخعي عن مسلم بن صبيح عن زيد بن أرقم عن النبيِّ ﷺ. قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

قلت: الحسن بن عبيد الله النخعي من رجال مسلم، كما في «التقريب» (ص٢٣٩-أبو الأشبال). وقد وثقه جماعة، وقال فيه البخاري: لم أخرج حديث الحسن بن عبيد الله؛ لأن عامة حديثه مضطرب. «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢٥٤)، الحسن بن عبيد الله النخعي.

والحديث في «صحيح مسلم» برقم (٢٤٠٨)، من طريق يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم مطوّلًا، وليس فيه: «ولن يتفرَّقا حتىٰ يردا علي الحوض».

وقد جاءت هذه الزيادة في حديث زيد بن أرقم في طرق أخرىٰ عنه، ووردت في حديث زيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم، واختلف أهل العلم في ثبوتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة النبوية» (٧/ ٣١٨-٣١٩): وقد طعن غير واحد من الحفاظ في هذه الزيادة، وقال: إنها ليست من الحديث، والذين اعتقدوا صحتها قالوا: إنما يدل علىٰ أن مجموع العترة الذين هم بنو هاشم لا يتفقون علىٰ ضلالة، وهذا قاله طائفة من أهل السنة، وهو من أجوبة القاضي أبي يعلىٰ وغيره. والحديث الذي في «مسلم» إذا كان النبيُّ ﷺ قد قاله فليس فيه إلا الوصية باتباع كتاب الله، وهذا أمر قد تقدمت الوصية به في حجة الوداع قبل ذلك، وهو لم يأمر باتباع العترة، لكن قال: «أذكركم الله في أهل بيتي»، وتذكير الأمة بهم يقتضي أن يذكروا ما تقدم الأمر به قبل ذلك من إعطائهم حقوقهم، والامتناع من ظلمهم؛ وهذا أمر قد تقدَّم بيانه قبل غدير خم، فعلم أنه لم يكن في غدير خم أمر يشرع نزل إذ ذاك لا في حق علي ولا غيره، لا إمامته ولا غيرها، لكن حديث الموالاة قد رواه الترمذي وأحمد في «مسنده» عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وأما الزيادة وهي قوله: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه..» إلخ فلا ريب أنه كذب.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن العبَّاس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ قُرَيْشًا إِذَا لَقِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَقُوهُمْ بِبِشْرٍ حَسَنٍ، وَإِذَا لَقُونَا لَقُونَا بِوُجُوهٍ لَا نَعْرِفُهَا. قَالَ: فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ الرَّجُلِ الْإِيمَانُ حَتَّىٰ يُحِبَّكُم لِلَّهِ وَرَسُولِهِ».[1]

ثم قال أحمد رَحِمَهُ اللهُ: حدثنا جرير، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب بن ربيعة، قال: دَخَلَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّا لَنَخْرُجُ فَنَرَىٰ قُرَيْشًا تَحَدَّثُ، فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا. فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَاللَّهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِيمَانٌ حَتَّىٰ يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي».[2]

وقال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا خالد، حدثنا شعبة، عن واقد، قال: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ -هُوَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ.[3]

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٠٧).

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٠٧).

ورواه أحمد (٤/ ١٦٥) بالإسنادين السابقين، بزيادة رجل بين عبد الله بن الحارث والعباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومن هذا الوجه أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم (٣٧٥٨)، وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري برقم (٣٧١٣) و(٣٧٥١)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وفي «الصحيح»: أَنَّ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي.[1]

وقال عمر بنُ الخطَّاب للعبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: وَاللَّهِ، لَإِسْلَامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ؛ لِأَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ.[2]

فحال الشيخين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا هو الواجب علىٰ كل أحد أن يكون كذلك؛ ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيِّين والمرسلين، رضي الله عنهما وعن سائر الصحابة أجمعين. اهـ[3]

وفيما يلي أيُّها القارئ الكريم سأورد بعض الأدلَّة علىٰ فضائل آل البيت رضوان الله عنهم أجمعين:

فمن فضائل أهل بيت النبيِّ ﷺ ومناقبهم، وأعني من آمن منهم:

قولُ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٠٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (١٧٥٩)، من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) قطعة من حديث طويل رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٧/ ٤٥٩-٤٦٢) برقم (٤٣٠١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٣١٩-٣٢٢)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٠-١٥) برقم (٧٢٦٤)، من حديث ابن إسحاق، قال: حدثني الزهري عن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٤٦ -«البغية»): رجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن حجر: حديث صحيح. وانظر: «الصحيحة» للألباني (٣٣٤١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٩٩-٢٠٢) باختصار.

تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: من الآية ٣٣].

قال ابنُ كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وهذا نصٌّ في دخول أزواج النبيِّ ﷺ في أهل البيت ههنا؛ لأنهنَّ سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولًا واحدًا؛ إما وحده علىٰ قول، أو مع غيره علىٰ الصحيح.

وروىٰ ابنُ جرير عن عكرمة: أَنَّهُ كَانَ يُنَادِي فِي السُّوقِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، نَزَلَتْ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً.[1]

وهكذا روىٰ ابن أبي حاتم، قال: حدَّثنا عليُّ بن حرب الموصلي، حدثنا زيد بن الحباب، حدَّثنا حسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، قَالَ: نَزَلَتْ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً.

وقال عكرمة: من شاء باهلته أنها نزلت في شأن نساء النبيِّ ﷺ.[2]؛ فإن كان المراد أنهنَّ كنَّ سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهنَّ المراد فقط دون غيرهن، ففيه نظر؛ فإنه قد وردت أحاديثُ تدلُّ علىٰ أن المراد أعمُّ من ذلك:

(١) رواه الطبري في "تفسيره" (٢٠/ ٢٦٧)، والثعلبي في "الكشف والبيان" (٨/ ٣٦)، وابن مردويه كما في "الدر المنثور" (٦/ ٦٠٣).

(٢) ورواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٦٩/ ١٥٠).

الحديثُ الأول: قال الإمام أحمد: حدثنا عفَّان، حدَّثنا حمَّاد، أخبرنا عليُّ بن زيد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمُرُّ بِبَابِ فَاطِمَةَ رضي الله عنها سِتَّةَ أَشْهُرٍ إِذَا خَرَجَ إِلَىٰ صَلَاةِ الْفَجْرِ، يَقُولُ: **«الصَّلَاةَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»**، رواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن عفَّان به. وقال: حسن غريب.[1]

حديث آخر: وقال الإمام أحمد أيضًا: حدَّثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي، حدثنا شدَّاد أبو عمَّار، قال: دَخَلْتُ عَلَىٰ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه، وَعِنْدَهُ قَوْمٌ، فَذَكَرُوا عَلِيًّا رضي الله عنه فَشَتَمُوهُ، فَشَتَمْتُهُ مَعَهُمْ، فَلَمَّا قَامُوا قَالَ لِي: شَتَمْتَ هَذَا الرَّجُلَ؟ قُلْتُ: قَدْ شَتَمُوهُ فَشَتَمْتُهُ مَعَهُمْ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: أَتَيْتُ فَاطِمَةَ رضي الله عنها أَسْأَلُهَا عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، فَقَالَتْ: تَوَجَّهَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّىٰ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ رضي الله عنهم، آخِذٌ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِهِ، حَتَّىٰ دَخَلَ فَأَدْنَىٰ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ رضي الله عنهما، وَأَجْلَسَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا رضي الله عنهما كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ فَخِذِهِ، ثُمَّ لَفَّ عَلَيْهِمْ ثَوْبَهُ - أَوْ قَالَ: كِسَاءَهُ -، ثُمَّ تَلَا

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٨٥)، والترمذي برقم (٣٢٠٦).

□ ورواه أحمد (٣/ ٢٥٩) عن أسود بن عامر عن حماد بن سلمة به مثله.

قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ. وَقَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي الْحَمْرَاءِ وَمَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ وَأُمِّ سَلَمَةَ.

ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَأَهْلُ بَيْتِي أَحَقُّ».(١)

وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن عبد الكريم بن أبي عمير، عن الوليد بن مسلم، عن أبي عمرو الأوزاعي بسنده نحوه، زاد في آخره: قَالَ وَاثِلَةُ رضي الله عنه: فَقُلْتُ: وَأَنَا -يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ- مِنْ أَهْلِكَ؟ قَالَ ﷺ: «وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِي»، قَالَ وَاثِلَةُ رضي الله عنه: وَإِنَّهَا مِنْ أَرْجَىٰ مَا أَرْتَجِي.(٢)

---

(١) رواه أحمد في "مسنده" (٤/ ١٠٧). ورواه أيضًا في "فضائل الصحابة" (١/ ٧١٤-٧١٥) برقم (٩٧٨)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (١٢/ ٧٢)، والطبراني في "الكبير" (٢٢/ ٦٦) برقم (١٦٠)، وابن عساكر في "تاريخه" (١٤/ ١٤٨)، من طريق محمد بن مصعب -وهو القرقساني- عن الأوزاعي به. قال الهيثمي (٩/ ١٦٣-"بغية"): رواه أحمد وأبو يعلىٰ باختصار وزاد: «إليك لا إلىٰ النار»، والطبراني، وفيه محمد بن مصعب وهو ضعيف الحديث سيئ الحفظ، رجل صالح في نفسه.

قلت: هو متابع كما سيأتي في تخريجه.

(٢) رواه الطبري في "تفسيره" (٢٠/ ٢٦٤-٢٦٥). ورواه القطيعي في "زوائده علىٰ فضائل الصحابة" (٢/ ٩٨٨) برقم (١٤٠٤)، من طريق عبد الكريم بن أبي عمير عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي به.

- ورواه ابن حبان (١٥/ ٤٣٢) برقم (٦٩٧٦) من طريق عبد الرحمن بن إبراهيم عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي به.
- وقد رواه الطبراني (٣/ ٥٥) برقم (٢٦٧٠)، من طريق محمد بن علي الصائغ عن محمد بن بشر التنيسي عن الأوزاعي به.
- ورواه الحاكم في "المستدرك" (٢/ ٤٥١) برقم (٣٥٥٩)، وعنه البيهقي (٢/ ٨٠)، من طريق الوليد بن مزيد عن الأوزاعي به نحوه. قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم.
- ورواه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٢/ ٢٤٥)، والحاكم (٣/ ١٥٩) برقم (٤٧٠٦)، والبيهقي (٢/ ٨٠)، من طريق بشر بن بكر عن الأوزاعي به نحوه. قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين. وقال البيهقي: إسناد صحيح.

ثم رواه أيضًا عن عبد الأعلىٰ بن واصل، عن الفضل بن دُكين، عن عبدالسلام بن حرب، عن كلثوم المحاربي، عن شدَّاد بن أبي عمَّار، قال: إِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه، إِذْ ذَكَرُوا عَلِيًّا رضي الله عنه فَشَتَمُوهُ، فَلَمَّا قَامُوا، قَالَ: اجْلِسْ حَتَّىٰ أُخْبِرَكَ عَنْ هَذَا الَّذِي شَتَمُوهُ، إِنِّي عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ رضي الله عنهم، فَأَلْقَىٰ ﷺ عَلَيْهِمْ كِسَاءً لَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا؟ قَالَ ﷺ: «وَأَنْتَ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنَّهَا لَأَوْثَقُ عَمَلٍ عِنْدِي.(١)

حديث آخر: وقال مسلمٌ في "صحيحه": حدَّثني زُهيرُ بنُ حرب وشجاعُ ابن مخلد، عن ابن عُلَيَّةَ، قال زهيرٌ: حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدَّثني أبو حيَّانَ، حدَّثني يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَىٰ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ، قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا؛ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي،

---

(١) رواه الطبري في "تفسيره" (٢٠/ ٢٦٤). ورواه الطبراني في "الكبير" (٣/ ٥٥) برقم (٢٦٦٩)، عن علي بن عبد العزيز عن أبي نعيم الفضل بن دكين به مثله. قال الهيثمي (٩/ ٢٦٤-"البغية"): رواه الطبراني بإسنادين، ورجال السياق رجال الصحيح، غير كلثوم بن زياد، ووثقه ابن حبان وفيه ضعف.

وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا، وَمَا لَا فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَىٰ خُمًّا، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَىٰ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: **«أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَىٰ، فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»**، فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: **«وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»** ثَلَاثًا، فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ الْعَبَّاسِ رضي الله عنهم، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. اهـ[1] [2]

ومن الأدلة أيضًا على بيان فضل آل البيت:

ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ، مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].[3]

(١) سبق تخريجه (ص٦٤).

(٢) "تفسير ابن كثير" (٦/ ٤١٠-٤١٢) باختصار.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٠٨١).

وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»**.[1]

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ وَيَقُولُ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا»**.[2]

ولقد أشار الناظم إلىٰ ذلك بقوله: (**وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَىٰ بِهَا أَتَوَسَّلُ**)، أي: مودَّة قرابة النبيِّ ﷺ وحُبُّ الذين آمنوا به، وحُبُّ زوجاته الطاهرات المطهَّرات أمَّهات المؤمنين، الحبَّ الشرعي لا غلوَّ ولا جفاء، بل حبًّا مداره علىٰ النصوص الواردة في فضلهم، وحبِّ الله ورسوله ﷺ لهم، عملٌ أتقرَّب به إلىٰ الله تعالىٰ، أرجو ثوابه منه؛ لأنه من جملة المأمورات الشرعيَّة.

والتوسُّل معناه: التقرُّب إلى الشيء بعمل ما، والوسيلة هي الطريقة والقُربة أيضًا؛ قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

والتوسُّل الذي أراده الناظم في هذا البيت هو **التوسُّل المشروع**، الذي كان عليه الصحابة الكرام والتابعون لهم بإحسان؛ وهو **التقرُّب إلى الله تعالى بالإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، وبامتثال الأوامر الشرعية،**

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٦٧)، ورواه مسلم برقم (٢٤٤٩)، ولفظه: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا».

(٢) رواه البخاري برقم (٣٧٤٧).

واجتناب النواهي، وعمل المستحبَّات التي أمر الله بها وأمر بها رسلُه عليهم الصلاة والسلام، وكذلك التوسُّل بطاعة الرسول في كل ما أمر به ونهىٰ عنه.

هذا هو التوسُّل الذي قصده الناظم رَحِمَهُ اللهُ؛ لأن السلف الصالح ومن تبعهم إذا أطلقوا لفظ التوسُّل أرادوا به **المشروع لا الممنوع**.

فتوسل الناظم رَحِمَهُ اللهُ بمودَّة المؤمنين من قرابة النبيِّ ﷺ؛ لأنها من أجلِّ الأعمال الصالحة، وامتثالًا لأمر ووصيَّة النبيِّ الكريم ﷺ، فهو إذًا من التوسُّل المشروع إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والتقرُّب إليه بالأعمال الصالحة، خلافًا لما يفعله بعضُ فرق أهل الضلال من التوسل بذوات الصحابة، أو بجاههم؛ **فهذا من التوسل غير المشروع**، والذي لم يفعله أحدٌ من علماء السلف الصالح.

الوقفة الخامسة: في بيان الفِرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في اعتقاد فضل الصحابة ووجوب محبَّتهم.

وأبرز الفرق التي خالفت في هذا الباب فرقتان من فرق الضلال، هما:

الرافضة والخوارج:

الفرقة الأولى الرافضة:[1] الذين غلوا في حبِّ علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتىٰ رفعوه

(١) وهي طائفة من الطوائف الشيعية ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الفاسدة، فهم الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في عليٍّ وذريته من بعده بنصٍّ من النبيِّ ﷺ وسُمُّوا بالرافضة؛ قيل: لأنهم رفضوا إمامة زيد بن علي. وقيل: لرفضهم إمامة أكثر الصحابة ومنهم الشيخين. وقيل: لرفضهم الدين. =

هو وأهلَ البيت فوق منزلتهم ظلمًا منهم وعدوانًا، وجفَوْا بقيَّة الصحابة الأفاضل، فكفَّروهم، فصاروا بذلك من أهل الغلوِّ ومن أهل الجفاء، وكلُّ رزية تليق بجنابهم.[1]

الفرقة الثانية الخوارج:[2] ويسمَّون **الجُفاة النواصب**، وهم الذين نصبوا العداوة لعليِّ بن أبي طالب ومن معه من الصحابة الكرام، وحكموا عليهم بالكفر، لأنَّ الخوارج منهجهم التكفير، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم؛ بسبب الوقوع في المعصية، بل قد تكون معصيةً في فهمهم، وإلَّا فما نقموه علىٰ عليِّ بن أبي طالب، وزعموا أنه وافق علىٰ

= **من أشهر فرقهم**: الشيعة الاثنا عشرية، المحمدية، الشيخية، الرشتية.

ومن معتقداتهم الفاسدة: زعمُهم أن الله تجلَّىٰ في عليٍّ وفي أولاده الأحد عشر، وأنهم مظاهر الله، وأصحاب الصفات الإلهية، ودعواهم عصمة الأئمَّة والأوصياء، وموقفهم الباغض للصحابة، وقولُهم بالبداء علىٰ الله تعالىٰ، والظهور بعد الخفاء، كما قالت اليهود. انتهىٰ بتصرُّف من «فرق معاصرة» (١/ ١٦٣) وما بعدها.

(١) استنبط الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ من قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ الآية، أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء. انظر «اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٧ - ١٢٦٨/ ٢٤٠٠)، وروي عنه أيضا أنه قال بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قال: لأنهم يغيضونهم، ومن غاض الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فهو كافر لقوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ...﴾ الآية. انظر البغوي في «معالم التنزيل» (٧ - ٣٢٨).

(٢) الخوارج: كل من خرج علىٰ الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمىٰ: خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة علىٰ الأئمة الراشدين أو كان بعدهم علىٰ التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. «الملل والنحل للشهرستاني».

التحكيم، وقالوا: إنه حَكَّم الرجال، وترك حكم الله؛ والله تعالىٰ يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: من الآية ٤٠]، زعمٌ غير صحيح.

واحتجاجهم بآية: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ هي من قبيل ما قيل: كلمة حقٍّ أريد بها باطل.[١]؛ لأنَّ عليَّ بن أبي طالب ومن معه أعرف بمعنىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ من الخوارج، أمّا الخوارج فلم يأخذوا العلم الشرعي عن أصحاب النبيّ ﷺ؛ الذين هم حملة العلم، وأهل الفقه في الدين، فبرزوا لعليِّ ابن أبي طالب ومن معه؛ وجرت المعركة، فأمدَّ الله طائفة الحقِّ بالنصر علىٰ أولئك المعتدين الضالِّين، فما هي إلَّا ساعات وقد فُرِغَ منهم، فقد فرَّ من المعركة من فرَّ، وقُتل في المعركة الكثير، وهم يتنادون -أي :ينادي بعضهم بعضًا- الرواح! الرواح،[٢] أي: إلىٰ الجنَّة، فهذا معتقد الخوارج الذين هم نواصب، وإنه لمعتقد فاسد.

والخوارج لم تنتهِ فتنتهم، ولم تُسْتَأْصَلْ شأفتُهم، بل يتوارثون هذا المذهب اللاحق عن السابق، فكلُّ من خرج علىٰ الحكَّام المسلمين، وكلُّ

(١) قالها علي رضي الله عنه للخوارج لما جعلوا يرددون قولهم: (لا حكم إلا لله) فروىٰ الإمام مسلم في "صحيحه" برقم (١٠٦٦): عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْحَرُورِيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ وَهُوَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالُوا: لاَ حُكْمَ إِلاَّ لِلَّهِ. قَالَ عَلِيٌّ: كَلِمَةُ حَقٍّ، أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ. الحديث.

(٢) انظر: "البداية والنهاية" لابن كثير (٧/ ٣٢٠-إحياء التراث العربي).

من استحلَّ الدماء والأعراض والأموال، وسلك مسلك الخيانة والنكث؛ فهو من الخوارج، ولكن الأمر فيهم كما قال النبيُّ ﷺ: «**كُلَّمَا طَلَعَ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّىٰ عَدَّ عِشْرِينَ قَرْنًا**»[١] فهم لا يفلحون، ولا يُنصرون، حتىٰ يخرج آخرهم مع الدجال، فالله المستعان.

وقد أخبر النبيّ ﷺ عن الخوارج بأنهم: «**كِلَابُ النَّارِ**»[٢] وفي قوله هذا

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (١٧٤)، عن هشام بن عمار، وابن عساكر في "تاريخه" (١/ ١٦٢، ١٦٣) من طريق أبي النضر إسحاق بن إبراهيم بن يزيد وهشام بن عمار الدمشقيين، قالا: نا يحيىٰ بن حمزة، نا الأوزاعي، عن نافع، وقال أبو النضر: عن من حدثه عن نافع، عن ابن عمر، عن النبيِّ ﷺ به.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: غريب من حديث نافع، والظاهر أن الأوزاعي قد رواه عن شيخ له من الضعفاء، والله أعلم. وروايته من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أقرب إلىٰ الحفظ. "تفسير القرآن العظيم" (٦/ ٢٧٤).

قلت: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما رواه معمر في "الجامع" (١١/ ٣٧٦- "مصنف عبدالرزاق")، والطيالسي في "مسنده" (٤/ ٨٤) برقم (٢٤٠٧-التركي)، وأحمد في "المسند" (٢/ ١٩٨ و٢٠٩)، والحاكم في "المستدرك" (٤/ ٥٣٣) برقم (٨٤٩٧)، وأبو نعيم في "الحلية" (٦/ ٥٣-٥٤)، والبغوي في "شرح السنة" (١٤/ ٢٠٨-٢١٠)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١/ ١٦٠-١٦١): عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا قُطِعَ قَرْنٌ نَشَأَ قَرْنٌ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ فِي بَقِيَّتِهِمُ الدَّجَّالُ» هذا لفظ أحمد. قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١١/ ٣٨٠): سندُه لا بأس به.

انظر: "الصحيحة" للشيخ الألباني رحمه الله برقم (٣٢٠٣).

(٢) كما في حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما؛ أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٥)، وابن ماجه برقم (١٧٣)، من طريق الأعمش عن ابن أبي أوفىٰ، وهذا إسناد منقطع؛ فإن الأعمش لم يسمع من أحد من الصحابة. "تحفة التحصيل" لأبي زرعة العراقي (ص١٣٥).

☐ لكن أخرجه أبو داود الطيالسي في "مسنده" (٢/ ١٦٣) برقم (٨٦٠-التركي)، ومن طريقه ابن أبي عاصم في "السنة" (٢/ ٤٣٨) برقم (٩٠٥)، ورواه أحمد (٤/ ٣٨٢)، والحاكم (٣/ ٦٦٠)=

ﷺ تحذير بليغ من السلوك في مسلكهم من التكفير للمسلمين سواء كانوا حكّامًا أو محكومين أو علماء أو غيرهم، وفيه زجر عن استحلالِ أموال المسلمين ودمائهم وأعراضهم، وقال عليه الصلاة والسلام: «طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلُوهُ - يعني: ومعه التوحيد والصلاة طوبىٰ له - وَطُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ»[1]، وقال ﷺ: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».[2]

وما ورد في "سنن البيهقي الكبرىٰ" عن أبي غالب قال: كُنْتُ مَعَ أَبِي أُمَامَةَ، فَجِيءَ بِرُؤُوسٍ مِنْ رُؤُوسِ الْخَوَارِجِ، فَنُصِبَتْ عَلَىٰ دَرَجِ دِمَشْقَ، فَقَالَ: «كِلَابُ النَّارِ -قَالَهَا ثَلَاثًا- شَرُّ قَتْلَىٰ قُتِلُوا تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَىٰ

= برقم (٦٤٣٥)، الثلاثة بإسناد آخر موصول، وحسنه الألباني في "ظلال الجنة" (٢/ ٤٣٨) وذكر أن له شاهدًا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

قلت: سيأتي تخريجه قريبًا.

(١) ورد من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما: رواه ابن سعد في "الطبقات الكبرىٰ" (٤/ ٣٠٢)، وأحمد (٤/ ٣٥٧ و٣٨٢)، وعنه ابنه عبد الله في "السنة" (٢/ ٦٣٧) برقم (١٥٢٠)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٢/ ٤٣٨-٤٣٩) برقم (٩٠٦)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" والجماعة (٧/ ١٢٣٢) برقم (٢٣١٢)، من طرق عن حماد بن سلمة عن سعيد بن جمهان عن ابن أبي أوفىٰ عن النبيِّ ﷺ نحوه. وحسَّنه الألباني في "ظلال الجنة في تخريج السنة" (٢/ ٤٣٩).

☐ وورد من حديث أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك رضي الله عنهما معًا، أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٤)، وأبو داود) برقم (٤٧٦٥)، وأبو يعلىٰ (٥/ ٤٢٦-٤٢٧) برقم (٣١١٧)، والمروزي في السنة (٢٠-٢١) برقم (٥٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠/ ٢٥٧) برقم (٤٠٧٣)، والآجري في الشريعة (١/ ٣٣٦-٣٣٧) برقم (٤٠)، والحاكم (٢/ ١٦١) برقم (٢٦٥٠)، والبيهقي في "الكبرىٰ" (٨/ ١٧١)، والضياء المقدسي في "المختارة" (٧/ ١٦-١٧) برقم (٢٣٩٢). قال الألباني: صحيح علىٰ شرطهما. "ظلال الجنة في تخريج السنة" (٢/ ٤٥٨).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٣٤٤)، ومسلم برقم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

مَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ»، - قَالَهَا ثَلَاثًا- قُلْتُ: شَيْئًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ شَيْئًا تَقُولُهُ بِرَأْيِكَ؟ قَالَ: إِنِّي إِذًا لَجَرِيءٌ! بَلْ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.[1]

إلىٰ غير ذلك من النصوص التي تدلّ علىٰ خبث منهجهم، وسوء سلوكهم مع المسلمين، وما ذلك إلاّ لقلة علمهم وكثرة جهلهم واستكبارهم عن الحقّ، فَقد كان بَيْنَهُمْ حَمَلَةُ العِلْمِ من أصحاب رسول الله، فلم يأخذوا عنهم كلمة واحدة، ولمَّا ناظرهم ابن عبَّاس رضي الله عنهما وكان فيهم الأتباع، استمعوا الحجَّة واقتنعوا، ورجع إلىٰ الحقِّ معظمهم مع ابن عبَّاس، وأمَّا القادة المتبوعون، فإنهم أبوا إلَّا أن يقيموا المعركة بزعمهم، ليرثوا الجنَّة، ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم.[2]

وهذا هو معتقد الطائفة الناجية المنصورة، ومنهم ابن تيمية حيث صرَّح

(١) رواه البيهقي في "الكبرىٰ" (٨/ ١٨٨) من طريق أبي داود الطيالسي، وهو عند الطيالسي في "مسنده" (٢/ ٤٥٥) برقم (١٢٣٢-التركي).

☐ ورواه أحمد (٥/ ٢٥٣ و٢٥٦)، والترمذي برقم (٣٠٠٠) وقال: هذا حديث حسن.

☐ وابن ماجه برقم (١٧٦) من طريق أبي غالب به. قال الألباني في التعليق علىٰ "سنن الترمذي": حسن صحيح.

(٢) قصة مناظرة ابن عبَّاس رضي الله عنهما للخوارج رواها عبد الرزاق في "مصنفه" (١٠/ ١٥٧-١٦٠) برقم (١٨٦٧٨)، وأحمد (١/ ٣٤٢) -مختصرة-، والنسائي في "الكبرىٰ" (٥/ ١٦٥-١٦٧) برقم (٨٥٧٥)، والطبراني في "الكبير" (١٠/ ٣١٢-٣١٤) برقم (١٠٥٩٨)، والحاكم (٢/ ١٦٤) برقم (٢٦٥٦)، والبيهقي (٨/ ١٧٩)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (٢/ ٢٠٩-٢١١) برقم (٩٣٨-زمرلي)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤٢/ ٤٦٣-٤٦٤)، من طرق عن عكرمة بن عمار عن أبي زميل الحنفي عن ابن عباس. قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم.

بذلك في البيت الماضي علىٰ التفصيل المذكور آنفًا.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

وأَقُولُ في [1] الْقُرْآنِ مَا جاءَتْ بِـهِ ﴿٥﴾ آياتُــهُ فَهُــوَ الْقَــدِيمُ [2] الْمُنْــزَلُ

الشرح:

❁ **المسألة الثالثة من المسائل التي اشتملت عليها المنظومة:** بيان منهج أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم وأنه كلام الله منزل غير مخلوق. [3]

في هذا البيت بيان لمعتقد أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم، الذي ارتضاه صاحب المنظومة لنفسه معتقدًا ومنهجًا، فهو يؤمن بأن القرآن

---

(١) في نسخة: [أُقِـرُّ بِـ].

(٢) ورد في بعض النسخ [الكريم المنزل]، وبعضها: [العظيم المنزل].

(٣) أول من قال بخلق القرآن: الجعد بن درهم، يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في ترجمته: هو أول من قال بخلق القرآن، وهو الذي ينسب إليه مروان الجعدي وهو مروان الحمار، آخر خلفاء بني أمية، كان شيخه الجعد بن درهم أصله من خراسان، ويقال: إنه من موالي بني مروان، قال ابن عساكر وغيره: وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم زوج ابنته، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر رسول الله ﷺ عن يهودي باليمن، وأخذها عن الجعد: الجهم بن صفوان الخزري، وقيل: الترمذي، وأخذ بشر المريسي عن الجهم، وأخذ أحمد بن أبي دؤاد عن بشر... . "البداية والنهاية" (٩-١٠/ ٤٠٤)، ط/ الثانية سنة (١٤١٧هـ) دار المعرفة.

وقويت هذه البدعة في عهد الخليفة العباسي المأمون ، فهو أول خليفة أعلن القول بخلق القرآن ودعا إليها، وكان ذلك سنة (٢١٢هـ)، وصمم علىٰ امتحان العلماء في سنة (٢١٨هـ)، وشدد عليهم، فأخذه الله. انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٠/ ٢٠٠و٢٨٣،٢٨١).

الكريم كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلَّم الله به حقيقة وصدقًا، وسمعه جبريل حقًّا، وبلَّغه محمَّدًا ﷺ وحيًا، وأنّ حروفه وكلماته وآياته وسوره كلها كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ليس منها شيء من كلام البشر أبدًا.

فالله ﷻ هو المتكلِّم به حقيقة، فأسمعه لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ليبلِّغه النبيَّ محمَّدًا ﷺ، والنبيُّ ﷺ تلقَّاه من جبريل وحيًا، فبلَّغه للناس بشيرًا ونذيرًا، فجبريل ومحمَّد -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كلاهما مبلِّغان عن الله ﷻ، والناس يتلون هذا القرآن الذي هو كلام الله ﷻ بأصواتهم، ويكتبونه بأقلامهم، وذلك لا يخرجه عن كونه كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهذا معتقد أهل السنة والجماعة الذي مشىٰ عليه الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، وقرَّره في قصيدته هذه، وكذلك هو معتقد كل صاحب سنة من السابقين واللاحقين إلىٰ يوم الدين.

والأدلّة على أن القرآن الكريم كلام الله ، وأنه منزل غير مخلوق كثيرة، منها :

﴿١﴾ قولُ الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

﴿٢﴾ وقوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢].

﴿٣﴾ وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:٣].

(٤) وقوله الحق: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:١٠٢].

(٥) وقوله سبحانه: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام:١١٤].

(٦) وقوله عزَّ من قائل: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الأحقاف:١٠٢].

وغير هذه النصوص القرآنية التي تدلُّ دلالة صريحة علىٰ أن القرآن كلام الله، منزل من عنده، غير مخلوق كثير.

ومن السنَّة المطهَّرة وردت أيضًا نصوصٌ كثيرة تدلُّ على أن القرآن الكريم كلام الله ﷻ، منها:

(١) ما جاء عن أبي هريرة ﵁ أن النبيَّ ﷺ قال: «**إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا فِي السَّماءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا خَضَعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. قَالَ: فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ، فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا إِلَىٰ الَّذِي تَحْتَهُ، فَيُلْقِيهَا عَلَىٰ لِسَانِ الْكَاهِنِ أَوِ السَّاحِرِ، فَرُبَّمَا لَمْ**

يُدْرِكْ حَتَّىٰ يُلْقِيَهَا، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَتُصَدَّقُ تِلْكَ الْكَلِمَةُ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّماءِ».[١]

(٢) ومنها ما ثبت عنه قوله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ**».[٢]

(٣) ومنها ما جاء عن أبي هريرة ﵁ أيضًا قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».[٣]

وكم غيرها من نصوص من الكتاب والسنة دالة علىٰ الغرض، أي: بأن القرآن العظيم كلام الله، منزل من لدنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تكلَّم به قولًا، وأنزله وحيًا، وبلَّغه جبريل محمَّدًا عليهما السلام، وبلَّغه محمد أصحابه بدون زيادة ولا نقصان، فبقي محفوظًا لعالم الإنس والجن.

فنسبته إلىٰ جبريل وإلىٰ محمد -عليهما السلام- نسبة تبليغ، ونسبته إلىٰ الله ﷻ نسبة فعل؛ إذ هو كلامه وقوله حقيقة.

فالقرآن الكريم كلام الله لفظه ومعانيه، وأن الكلام صفة من صفات الله

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٧٠١) و(٤٨٠٠)، والترمذي برقم (٣٢٢٣) مختصرًا، وابن ماجه برقم (١٩٤) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٤٣) واللفظ له، وفي مواضع أخرىٰ، ومسلم برقم (١٠١٦)، من حديث عدي بن حاتم ﵁.

(٣) رواه البخاري برقم (٧٤٩١)، ومسلم برقم (٢٢٤٦).

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، صفة ذاتية قائمة بذات الله تعالىٰ باعتبار النوع، واتصاف الله به أزلًا وأبدًا، وصفة فعلية باعتبار تنزُّله بمشيئة الله واختياره.

وهذه هي العقيدة الصحيحة عقيدة الفرقة الناجية أن هذا القرآن الذي نقرأه ونكتبه ونحفظه كلام الله حقيقة لفظًا ومعنًىٰ، بدون السؤال عن الكيفية التي تكلَّم الله بها، ولا يقال فيه كما قال أهل التشبيه وأهل التعطيل وأهل التأويل المذموم، علىٰ اختلاف نحلهم الباطلة، وكما قال أهل الاعتزال: إنه اللفظ دون المعنىٰ. ولا المعنىٰ دون اللفظ كما تقول الكُلَّابية.

وأوَّل من أحدث القول بأن القرآن مخلوق في الإسلام هو الجعد بن درهم، فضحَّىٰ به خالدُ بن عبد الله القسري بواسط يوم النحر. وقال: يا أيها الناس، ضحُّوا، تقبَّل الله ضحاياكم؛ فإني مضحٍ بالجعد بن درهم؛ إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلِّم موسىٰ تكليمًا، تعالىٰ الله عمَّا يقول الجعد بن درهم علوًّا كبيرًا. ثم نزل فذبحه.[1]

والفِرَقُ الَّتي خالفت أهلَ السنة والجماعة في هذا الأصل العظيم كثيرة جدًّا، وبمعتقدات مختلفة، ولكن من أشهرها الفِرَق التالية:

☐ **الفرقة الأولى: الجهمية**: أتباعُ جهم بن صفوان[2] الذين قالوا: بأن

---

(١) "فتاوىٰ ابن تيمية" (١٢/ ١١٩).

(٢) الجهم بن صفوان (ت ١٢٨)، أظهر بدعة القول بخلق القرآن، وتلقف بدعته من الجعد بن درهم الذي أظهر القول بإنكار كلام الله، حيث لقيه بالكوفة وأخذها عنه، وعبر عن قول الجعد بقول آخر أراد به التمويه، والفكاك من سيف المسلمين، ثم نفي إلىٰ ترمذ وبقي إلىٰ أن قتله بأصبهان،=

القرآن مخلوق، وذلك لأنهم ينفون عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جميع الأسماء والصفات، ومنها صفة الكلام. فيقولون: إن الله لا يتكلَّم، أو يتكلَّم بطريق المجاز.

☐ **والفرقة الثانية: المعتزلة**[1]: الذين ينكرون صفات الله، ويقولون: إن القرآن الكريم مخلوق، ويثبتون له أسماءً مجرَّدة من المعاني.

☐ **والفرقة الثالثة: الأشاعرة[2] والكُلَّابية[3]**: الذين يقولون: إن

= وقيل بمرو سلم بن أحوز، ونسبت هذه البدعة إليه؛ لأنه اعتنىٰ بنشرها بعد هلاك شيخه فلقِّب أصحاب هذا المذهب بالجهمية، من أبرز عقائدهم: إنكارهم الصفات وتعطيلها، إنكارهم كلام الله، إنكارهم لرؤية الله يوم القيامة، قولهم أن الإيمان مجرد المعرفة، يرون أن الإنسان ليس له فعل، بل هو مجبور علىٰ فعله؛ فهم جبرية في القدر، وغيرها من الأصول الفاسدة. بواسطة كتاب: (الرد علىٰ الزنادقة والجهمية –ص٤٣-٥١) للإمام أحمد، تحقيق: دغش العجمي.

(١) وهم أتباع واصل بن عطاء الغزال، اعتزل هو وأصحابه حلقة الحسن البصري –رحمه الله– وابتدع القول بالمنزلة بين المنزلتين، وهم فرق كثيرة تجمعهم أصول خمسة: التوحيد ومعناه نفي الصفات. والعدل ومعناه نفي القدر. وإنفاذ الوعيد ومعناه تخليد عصاة المسلمين في النار ونفي الشفاعة. والمنزلة بين المنزلتين ومعناها أن صاحب الكبيرة يخرج من الإسلام فلا يسمىٰ مسلمًا ولا يدخل في الكفر فيسمىٰ به. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعناه الخروج علىٰ الإمام الفاسق. انظر تفاصيل مقالاتهم واختلافهم: "مقالات الإسلاميين" للأشعري (١/ ١٣٠-١٣٧و١٤١-٢٢٤) وما بعدها، و"الفرق بين الفرق" للبغدادي (٩٣-١٨٩) و"الفصل في الملل والأهواء والنحل" (٢/ ٨٩-٤/ ١٣٥) و"الملل والنحل" للشهرستاني (١/ ٤٣-٨٥).

(٢) وهم المتسبون إلىٰ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠-٣٢٣هـ)، من عقائدهم إثبات الأسماء الحسنىٰ، أما الصفات فهم يثبتون سبعًا فقط لدلالة العقل عليها. ويقولون: الإيمان هو التصديق. ويميلون إلىٰ مذهب الجبرية في القدر. انظر: "الملل والنحل" للشهرستاني (١/ ٩٤-١٠٣).

(٣) وهم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري. كان يثبت الأسماء والصفات، لكنه ينفي بعض الصفات الفعلية ويجعلها ذاتية. مثل صفة الكلام والرضىٰ والسخط ونحوها. ويقول: إن الإيمان هو الإقرار بالله عز وجل وبكتبه وبرسله إذا كان ذلك عن معرفة وتصديق بالقلب. انظر: "مقالات الإسلاميين" للأشعري (١/ ١٣٨-١٤٩ و٢٢٩-٢٣٠) و(٢/ ٣٩٨-٣٩٩ و٤٢١-وما بعدها).=

القرآن العربي ليس هو كلام الله، وإنما كلامُه المعنىٰ القائم بذاته، والقرآن العربيُّ خلق ليدل علىٰ ذلك المعنىٰ.[1]

وكذلك يقولون هو عبارة عن كلام الله كما قالت الأشاعرة، أو حكاية عن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ كما قالت الكلابية، حيث يلزم من هذا القول أن الرسول ﷺ لم يبلِّغ كلام الله، وإنما بلَّغ ما يدل عليه، وما هو حكاية عنه.

وغيرها من المقالات الباطلة، كقول بعضهم: بأن الله خلقه في شيء، فأخذه جبريل من ذلك الشيء، أو أن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ.

وقولهم: بأنه من كلام جبريل، أو من كلام محمد ﷺ.

وقولهم: إن القرآن كلام الله، لا حرف، ولا صوت، ونحو ذلك.

وهذا كلام كله باطل، مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة ومنهجهم؛ فكلام الله صفة ذاتية باعتبار اتصاف الله به أزلًا وأبدًا، وهو صفة فعليَّة باعتبار تنزُّله بمشيئته واختياره، فهو يتكلَّم سبحانه متىٰ شاء كيف شاء، يكلِّم من شاء بما شاء، ومن ذلك تكلُّمُه بالكتب المنزلة في أوقات متباينة علىٰ رسله الكرام، وغير ذلك مما وردت به النصوص الصحيحة، كما تقدَّم مفصَّلًا.

فالقرآن الكريم من جملة كلامه حقيقة، منزل غير مخلوق؛ بدلالة النصوص الصريحة من الكتاب والسنة التي سبق ذكرُها، وبدليل ما جاء في

= و"موقف ابن تيمية من الأشاعرة" (١/ ٤٣٨-٤٥١).

(١) انظر: "فتاوىٰ ابن تيمية" (١٢/ ١١٩-١٢٠).

"الصحيح": عن خولة بنت حكيم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**».[1]

حيث استدل أهل العلم من السلف الصالح بذلك علىٰ أن كلام الله غير مخلوق، فقالوا: إن الاستعاذة بالمخلوق شركٌ، وفي هذا الحديث الصحيح أمر بالاستعاذة بكلمات الله من شرِّ ما خلق الله؛ إذن فكلام الله ليس بمخلوق.[2]

ومما يدلُّ أيضًا علىٰ أن القرآن منزل غير مخلوق قولُ الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧]، فهذه الآية الكريمة جاءت دليلًا علىٰ أن كلام الله غير مخلوق؛ لأن كل مخلوق ينفد ويبيد، وكلماته لا تنفد ولا تبيد، وهذا الوصف لا يكون لمخلوق.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٧٠٨).

(٢) انظر: "خلق أفعال العباد" للبخاري (٢/ ٢٣٢-الفهيد)، و"التوحيد" لابن خزيمة (١/ ٤٠١-٤٠٢)، و"السنة" للخلال (٦/ ٨٧)، و"الإبانة الكبرىٰ" لابن بطة -الوابل- (١/ ٢٦٢- "الرد علىٰ الجهمية")، و"الأسماء والصفات" للبيهقي (١/ ٤٧٧-الحاشدي)، و"التمهيد" لابن عبد البر (٢٤/ ١٨٦)، و"شرح السنة" للبغوي (١/ ١٨٥)، و"الاستغاثة في الرد علىٰ البكري" لابن تيمية (١/ ٣٤٠-الغرباء) و(٢/ ٥٤٤-الغرباء)، و"مجموع الفتاوىٰ" له (١/ ١١٢ و٣٣٦) و(٦/ ٢٣٠) و(١٢/ ٣١٣)، و"بدائع الفوائد" لابن القيم (٢/ ٤٣٠-الباز) و"شفاء العليل" له (ص٢٧٢-الفكر)، و"شرح العقيدة الطحاوية" لابن أبي العز الحنفي - دار السلام- (ص:١٢٦-١٢٧)، و"شرح نونية ابن القيم" لأحمد بن عيسىٰ (١/ ٢٦٦).

قوله: (فَهُوَ الْقَدِيـمُ الْمُنْـزَلُ)، والمراد به أنه صفة لله، وأنه قديم النوع، حادث الآحاد، أي: نزل شيئا بعد شيء وهذا ما يعبِّر به كثير من السلف في القرآن، كابن تيمية وغيره، يقولون: قديم النوع، حادث الآحاد؛ من باب الإخبار، وذلك أن باب الإخبار أوسع من باب الصفات التوقيفية، فيكون المراد من هذا المعنىٰ، أي: إنه صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من صفاته، وحادث الآحاد، أي: النزول؛ فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنزله في ثلاث وعشرين سنة، علىٰ قول جمهور أهل العلم، تنـزل السورة، وتنـزل الآيات، وتنـزل الآية الواحدة، وهكذا حتىٰ اكتمل نزول القرآن والسنة المطهرة في ثلاث وعشرين سنة.

ولما اكتمل الوحيان انتقل النبيُّ الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلىٰ الرفيق الأعلىٰ؛ إذ توفَّاه الله كغيره من الرسل والأنبياء الذين سبقوه؛ كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤]، ولقد أخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤].

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَقُـولُ قَـالَ اللهُ جَـلَّ جَلَالُـهُ ﴿٦﴾ وَالْمُصْـطَفَىٰ الْهَـادِي وَلَا أَتَـأَوَّلُ

الشرح:

المسألة الرابعة: في بيان أن معتقد أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات مداره على النصوص من الكتاب وصحيح السنة فقط.

وفي هذا البيت يقول الإمام في القرآن الكريم، بل وفي غيره من الصفات بما قال الله، وبما قال الرسول الهادي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والذي قاله الله وقاله رسولُه ﷺ أن القرآن منزل من عند الله غيرُ مخلوق، كما ثبت في الآيات التي ذكرتها آنفًا، والتي كانت شاهدة بأن القرآن منزل من عند الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه قديم النوع وحادث الآحاد، ولم ينزل جملة واحدة إلىٰ الأرض، وإنما نزل مفرَّقًا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الحوادث والوقائع والأسئلة التي كانت ترد علىٰ النبيِّ ﷺ، فيأتي جوابُها من عند الله؛ كقوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة:١٨٩].

وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة:٢١٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:٢١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال:١].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٢].

هذه أسئلة قصَّها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علينا، والنبيُّ ﷺ يأتيه الجواب من عند الله فيجيب عنها، وكل ما أوحاه الله ﷻ بلَّغه رسول الله ﷺ بدون نقصان.

وقوله: .... **وَالْمُصْطَفَىٰ الْهَادِي وَلَا أَتَأَوَّلُ**

أي: إن منهجه في إثبات الأسماء والصفات ما ثبت عن الله -جل جلاله- من الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، التي ورد ذكرُها في الكتاب العزيز، وكذلك ما ثبت في السنة المطهَّرة، بفهم السلف الصالح، من غير تأويل لها، كالتأويل المذموم الذي سلكته طوائف الضلال علىٰ اختلاف مسمياتها في هذا الباب، فضلُّوا عن جادَّة الصواب والحق.

وأن ما قاله الرسول ﷺ متَّفِق مع ما قاله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في أسمائه وصفاته، فيثبته أهل السنة والجماعة علىٰ سبيل الحقيقة، ولا يفرِّقون بين القرآن الكريم والسنة المطهرة فيما يتعلَّق في وجوب العمل، فهما عندهم وحيان شريفان عظيمان، ومن مشكاة واحدة، وإن كان للكلام خصائصه ومزاياه، كما لا يخفىٰ علىٰ العلماء النبلاء.

قال رحمه الله:

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا ﴿٧﴾ حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

الشرح:

❁ اشتمل البيت علىٰ المسألة الخامسة من المسائل وهي: بيان العقيدة الصحيحة في طريقة إثبات صفات الله ﷻ وأسمائه.

يقول رحمه الله: (وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا ۞ حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ)، أي: إن آيات الصفات التي جاءت في كتاب الله ﷻ ونصوصها الواردة في السنة المطهرة يجب إمرارها كما جاءت، وهذا مذهب السلف في كل زمان ومكان، إمرارُها كما جاءت في تلك النصوص، لِمَا جاءت له.

وليس المراد **بالإمرار التفويض المطلق**، وإنما المراد إمرارُها كما **جاءت النصوص بها، وبمعانيها، وإجراؤها علىٰ ظاهرها، وتفويض علم الكيفية إلىٰ الله ﷻ، وإجراء النصوص من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل**، فكلما وجدنا نصًّا من القرآن فيه إثباتُ اسم لله، أو صفة له ﷻ، أو نصًّا من السنة المطهرة فيه إثبات اسم لله، أو صفة له ﷻ؛ فعلينا أن نثبته ونمرَّه كما جاء؛ أي للمعنىٰ الذي جاء له مبيِّنين ذلكم المعنىٰ. هذا المعتقد الذي يجب أن نعتقده في باب الأسماء والصفات، وندين الله به.

وإذ كان الأمر كذلك فإن السلف الصالح في هذا الباب يلتزمون ثلاثة أمور مهمَّة:

☐ **الأوَّل:** إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، أو أثبته له رسولُه ﷺ كذلك.

☐ **الثاني:** تنزيه الله عن مشابهته لمخلوقاته في ذاته وأسمائه وصفاته.

☐ **الثالث:** عدم محاولة الخوض في معرفة كيفيات تلك الصفات.

وهذه الأمور نستنبطها من قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ٦٥].

فصفات الله ﷻ تتنوَّع باعتبار ثبوتها لله ﷻ إلىٰ نوعين:

النوع الأول:

☐ صفات شرعيَّة عقليَّة، وهذه تثبت بالأدلة الشرعية والعقلية معًا.

☐ النوع الثاني: صفات خبرية، وتسمَّى أيضًا سمعية، وهذه لا تثبت إلا عن طريق الإخبار بها؛ إما بواسطة نصوص الكتاب، أو نصوص السنة؛ كصفة الوجه، وصفة اليدين، وصفة القدم لله ﷻ ونحوها.

وصفات الله أيضا تنقسم إلى قسمين:

☐ **القسم الأول:** صفات ثبوتية، وهي: الصفات التي أثبتها الله لنفسه، أو أثبتها له رسوله ﷺ؛ كصفة العلم، والقدرة، والحياة، وغيرها، فهذه

الصفات يجب إثباتها كما أُثبتت وجاءت بها النصوص.

☐ **القسم الثاني:** صفات سلبية، وهي: الصفات التي نفاها الله ﷻ عن نفسه، كصفة السِّنة والنوم، وصفة الظلم، وصفة الفقر، ونحوها. وهذه الصفات يجب نفيُها عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإثباتُ أضدادها لله علىٰ وجه الكمال الذي يليق به جلَّ جلاله.

فالسلف الصالح ينفون عن الله الظلم، ويثبتون له ضدَّه؛ وهو كمال العدل، وينفون عنه النوم، والتعب، والسِّنَة، ويثبتون له أضداد هذه الصفات، بأنه حيٌّ قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم.

والصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين باعتبار اتصاف الله بها:

☐ القسم الأول: صفات فعلية، كصفة النزول، والمجيء، والرضا، والغضب، ونحوها من الصفات التي يتصف الله بها بحسب مشيئته واختياره، مع العلم أن كل صفة فعلية فهي صفة ذاتية.

☐ القسم الثاني: صفات ذاتية، كصفة اليدين، والعينين، والوجه، والحياة، والسمع، والبصر، ونحوها من الصفات الذاتية القائمة بذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وعلى ضوء هذه التقسيمات لصفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**، فهي إما أن تكون:**

☐ صفات كمال مطلق ومدح يليق بربِّ العزَّة والجلال، كالحكمة،

والعزة، والرحمة، والحياة، فهذه الصفات ونحوها يثبتها السلف الصالح إثباتًا مطلقًا.

☐ أو صفات نقص مطلق، كالظلم، والنوم ونحوها، فهذه ينفونها مطلقًا، ويثبتون أضدادها، كما تقدَّم.

☐ أو صفات تكون كمالًا من وجه، ونقصًا من وجه آخر، كصفة الكيد، والمكر، فهذه للسلف الصالح فيها تفصيل، يجب فهمُه ومعرفتُه، فهم يثبتونها لله تعالىٰ إثبات كمال، ويأتي ذلك في حال المقابلة بمثلها؛ لأن ذلك يدلُّ علىٰ أن فاعل هذه الصفة ليس بعاجز عن مقابلة عدوِّه بمثل ما يقابلونه، وذلك كقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق:١٥-١٦]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: من الآية ٣٠]، وينفون هذه الصفات في غير هذه الحالات؛ لأنها تكون صفات نقص بحقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أما الأدلَّة علىٰ إثبات أن لله أسماءً حسنىٰ وصفاتٍ عليا، فمن القرآن الكريم والسنة المطهَّرة، فهي كثيرة جدًّا:

فمن القرآن الكريم:

(١) قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(٢) وقال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

(٣) وقوله سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

ومن السنَّة المطهَّرة ما يلي:

(١) ما جاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».[1]

(٢) وما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَىٰ سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بِـ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «سَلُوهُ: لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»؟ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا،

(١) رواه البخاري برقم (٧٣٩٢)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّهُ».[1]

(٣) وكما جاء في الدعاء المأثور: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**».[2]

فمن هذه الأدلة من القرآن والسنة اتخذ أهل السُّنَّةِ والجماعة من السلف الصالح وأتباعهم منهجهم في باب الأسماء والصفات؛ حيث أثبتوا أسماءَ الله وصفاته، كما وردت في الكتاب والسنة، بدون تأويل لها يخرجها عن معانيها الصحيحة، ويثبتون ما تدل عليه ألفاظ هذه الصفات من المعاني، بدون تحريف لتلك المعاني، مع اعتقادهم بأن ذلك لا يلزم منه تشبيه الخالق بالمخلوق؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

فما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات أو أثبته له رسولُه ﷺ أثبتوه، وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسولُه ﷺ نفوه.

كما أنهم يعتقدون أنَّ نصوصَ الأسماءِ والصفات من المحكم الذي تُفهم معانيه؛ لذا فهم لا يُفَوِّضون هذه المعاني، وإنما يفوِّضون كيفية صفات الله ﷻ.

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٣٧٥)، ومسلم برقم (٨١٣).

(٢) رواه أحمد (١/ ٣٩١ و٤٥٢)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٥٣)، وابن حبان (٣/ ٢٥٣) برقم (٩٧٢)، والحاكم (١/ ٦٩٠) برقم (١٨٧٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٢٧-٢٨) برقم (٧) وفي «الدعوات الكبير» (١/ ١٢٤) برقم (١٦٤-البدر)، انظر: «الصحيحة» (١/ ٣٨٣-٣٨٧) برقم (١٩٩).

وأسماءُ الله الحسنىٰ ليست محصورة في التسعة والتسعين الواردة في حديث أبي هريرة السابق، بل لله أسماءٌ حسنىٰ استأثر بعلمها؛ كما في الدعاء المأثور: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**».[1] الحديث.

وقول الناظم: (**الطِّرَازُ الأَوَّلُ**)، المراد بهم أصحاب النبيِّ ﷺ وأهل القرون المفضلة، حيث اقتفىٰ صاحب المنظومة في هذا الباب طريق أصحاب الرسول ﷺ ومن تبعهم بإحسان في طريقة إثبات الأسماء والصفات.

وأما الذين يُلحدون في الأسماء والصفاتِ فهم فرق كثيرة، بعضها أشدُّ جرمًا من بعض، وهي الفرق التالية:

(١) **الجهمية**: وهؤلاء يُنكرون الأسماء والصفات جميعًا، فحكم عليهم بالكفر جمهورُ أهل العلم؛ لأنهم كذَّبوا القرآن الكريم.

(٢) **المعتزلة**:[2] وهؤلاء يُثبتون الأسماءَ علىٰ أنها ألفاظ مُجرَّدة عن المعاني، وينفون الصفات كلها الذاتية والفعلية، وهم جهميَّة، بالإضافة إلىٰ القول بخلق القرآن، وبدع منكرة جاء ذكرُها في كتب

---

(١) سبق تخريجه (ص٩٨).

(٢) وهم أتباعُ واصل بن عطاء، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري. انظر: «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (٣/ ١٨٢-١٨٣).

أهل العلم.

(٣) الأشاعرة والماتريدية ومن تبعهم، وهؤلاء يثبتون الأسماءَ وبعضَ الصِّفات، ويؤوِّلون بعضها تأويلًا مذمومًا، فرارًا بزعمهم من تشبيه الخالق بالمخلوق.

وهذا علىٰ حدِّ زعمهم الفاسد؛ حيث علَّلوا بقولهم: إن المخلوقين يُسَمَّون ببعضٍ تلك الأسماء، ويوصفون بتلك الصفات، فيلزمُ من ذلك الاشتراك في كيفية الاسم والصفة. فصاروا بذلك إلىٰ التأويل المذموم، كتأويل اليد بالنعمة، أو القدرة، والاستواء بالاستيلاء، ونحوها من الصفات الفعلية.

(٤) الكُلاَّبية: وهذه الفرقة اشتهرت بالتأويل المذموم كالماتريدية والأشاعرة، بل الأشاعرة تابعون لهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وجماع الأمر في ذلك أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستَّة أقسام:

(١) قسم يقولون: تجرىٰ علىٰ ظاهرها، وهم السلف الصالح الذين يقولون: إنها تثبت علىٰ وجه يليق بعظمة الله وكبريائه.

(٢) والقسم الآخر المشبِّهة: الذين يشبِّهون صفاته بصفات المخلوقين.

(٣) (٤) وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها، فهم الجهمية ومن تفرَّع

عنهم، فقسم منهم يؤوِّلها بمعانٍ أخر. وقسم منهم يقولون: الله أعلم بما أراد منها.

وأما القسمان الواقفان:

(٥) فقسم يقولون: يجوز أن يكون المراد بظاهرها اللائق بالله، ويجوز ألا يكون المراد صفة لله. وهذه طريقة بعض من الفقهاء وغيرهم.

(٦) وقسم يمسكون عن هذا كلِّه، ولا يزيدون علىٰ تلاوة القرآن وقراءة الحديث، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات.

فهذه الأقسام الستَّة لا يمكن أن يخرج الرجل عنها. والصواب في آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة السلفية.[١] اهـ

قلت: والمراد بالطريقة السلفية إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات وما أثبته له رسوله عليه الصلاة والسلام كذلك، علىٰ التفصيل الذي سبق ذكره في هذا الشرح المختصر.

---

(١) "العقيدة الحموية الكبرىٰ" لابن تيمية (ص٧١).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَرُدُّ عُهْـدَتَهَا[1] إِلَـىٰ نُقَّالِهَـا ﴿٨﴾ وَأَصُـونُهَا عَـنْ كُـلِّ مَـا يُتَخَيَّـلُ

الشرح:

قوله: (**وأَرُدُّ عُـهْدَتَهَا**)، أي: جميع نصوص الأسماء والصفات، (**إِلَىٰ نُقَّالِهَـا**) يعني إلىٰ من نقلوا نصوص الصفات وآمنوا بها وبمعانيها اللائقة بعظمة الله وجلاله، ابتداءً بالرسول ﷺ، ومن بعده الصحابة الكرام، ثم من تبعهم وسار علىٰ نهجهم من الأئمة الأعلام.

فدين الإسلام ثبت بالنقل، أي: نقل الثقة عن الثقة رواية ودراية، وبيان ذلك أن القرآن الكريم الذي نزل في خلال ثلاث وعشرين سنة سمعه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من ربِّ العالمين، وبلَّغه محمدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كاملًا غير منقوص في المدة المذكورة، وبلَّغه نبيُّنا محمَّد ﷺ أصحابه الكرام، وأقرأهم إيَّاه كاملًا غير منقوص، فمنهم من استظهره، ومنهم من أخذ نصيبه منه بقدر ما كتب له، وبعد ذلك أخذه من بعدهم بحسب الأجيال المتعاقبة بسند متصل إلىٰ يومنا هذا. وكذلك السنَّة المطهرة نُقلت عن النبيِّ ﷺ رواية العدل عن العدل، كاملة موفورة، ونُحِّي عنها ما كان مكذوبًا وموضوعًا، أو ضعيفًا غير معتبر، حراسة للدين، وصيانة لسنة سيد المرسلين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

---

(١) في نسخة: [عُقْبَتَـهـا].

وقوله: (**وَأَصُونُهَا ...**) معناه: ألتزم وجوب صيانتها عن التحريف والتأويل الباطلين، والتعطيل والتشبيه والتمثيل، وكما يجب أيضًا صيانتها عما يتخيَّله أهل الباطل من أهل البدع والضلال علىٰ اختلاف مللهم ونحلهم المخالفة لأهل السنة والجماعة السابقين منهم واللاحقين، وأعني بأهل الملل والنحل من ضلوا في هذا الباب أو غيره. وكذلك صيانتها ببيان الحق فيها، والرد علىٰ من انحرفوا عن جادَّة الحق والصواب.

ولقد كان لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ اليد الطولىٰ في بيان الحق ونصرته، ورد الباطل ودحضه، رغم ما لاقىٰ من شر أهل البدع، وتلك مؤلَّفاته تزخر بما ذكرنا وغير ما ذكرنا من كل كلم طيب، فجزاه الله عن هذا البيان والصون لشريعة الإسلام خير الجزاء.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ القُرَانَ[1] وَرَاءَهُ ﴿٩﴾ وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ

الشرح:

❁ المسألة السادسة: هي في بيان ذم من استدلَّ بكلام البشر، وترك الاستدلال بالوحيين، كالأشاعرة ومن لف لفهم من المتكلمين.

فقد توجَّه الشيخ في هذا البيت بالذم لمن يترك الاستدلال بما قال الله وقال رسوله ﷺ في باب الأسماء والصفات، ويعمد إلىٰ الاستدلال بأقوال أهل الباطل، كالأخطل النصراني وغيره، ممن لا يجوز أن يُستدل بكلامهم في شيء من أبواب العلم الشرعي علىٰ اختلاف موضوعاته الجليلة، سواء في هذا الباب -باب الأسماء والصفات- أو غيره من أبواب العقيدة والشريعة.

إذ لا بدَّ من الاعتماد علىٰ نصوص الكتاب والسنة بالفهم الصحيح، والتفاعل معها في الحياة العلمية والعملية قولًا، وفعلًا، ظاهرًا، وباطنًا، علىٰ نهج قول الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: من الآية ٧]، مع الالتزام التام بمنهج الرسل الكرام والأنبياء العظام في دعوتهم المرضية، والتخلق بأخلاقهم الزكية، المنطلقة من القواعد الشرعية التي

(١) في نسخة: [الكِتابَ].

عرفها ورثتهم، ونشروها في كل زمان ومكان، فنعم المورِّثون، ونعم الوارثون، فكن وارثًا للعلم أيُّها المسلم، ومورِّثًا له، كي تحشر في زمرة الرسل الكرام والأنبياء العظام، وورثتهم من الأئمة الأعلام في دار السلام، جعلنا الله معهم بمنِّه وكرمه.

وفي قوله: (قَالَ الأَخْطَلُ[1]) يشير إلىٰ الذين استدلوا بقول الشاعر النصراني المدعو بالأخطل علىٰ صفة الكلام، وتركوا الآيات الكريمات، والأحاديث الصحيحة والصريحة في إثبات أن القرآن كلام الله حقيقة حروفَه وكلماتِه وألفاظَه ومعانيه. وتركوا أيضًا تفسير السلف الصالح وأتباعهم الذين هم أولىٰ بفهم نصوص الكتاب والسنة، وأولىٰ بفهم أبواب العلم، لاسيما هذا الباب العظيم؛ الذي هو أصل الدين وقاعدته، وعمدوا إلىٰ الاستدلال بأقوال من لا يُعتد بأقوالهم.

ولقد ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «فتاواه» قوله: وأمَّا ما يثبت بالعقل فلابدَّ أن يتصوَّره القائل به، وإلا كان قد تكلَّم بلا علم، فالنصارىٰ تتكلَّم بلا علم، فكان كلامهم متناقضًا، ولم يحصل لهم قول معقول، كذلك من تكلَّم في كلام الله بلا علم كان كلامه متناقضًا، ولم يحصل له قول يُعقل؛ ولهذا كان

(١) شاعر نصراني، اسمه غيَّاث بن غوث التغلبي، نشأ في العراق بين قومه تغلب، فصيحٌ سليطُ اللسان، مدمن علىٰ شرب الخمر، توفي سنة (٩٢هـ) وعمره (٧٠ سنة). «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٨٩)، و«الأعلام» للزركلي (٥/ ١٢٣).

مما يشنِّع به علىٰ هؤلاء أنهم احتجوا في أصل دينهم ومعرفة حقيقة الكلام -كلام الله، وكلام جميع الخلق- بقول شاعر نصراني يقال له: الأخْطَل:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَىٰ الْفُؤَادِ دَلِيلَا

وقد قال طائفة: إن هذا ليس من شعره، وبتقدير أن يكون من شعره، فالحقائق العقلية، أو مسمىٰ لفظ الكلام الذي يتكلَّم به جميعُ بني آدم لا يُرجع فيه إلىٰ قول ألف شاعر فاضل، دع أن يكون شاعرًا نصرانيًا اسمه الأخطل، والنصارىٰ قد عُرف أنهم يتكلَّمون في كلمة الله بما هو باطل، والخطل في اللغة هو الخطأ في الكلام.اهـ[1]

قلت: لذلك أشار إلىٰ هذا البيت الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وخطَّأ من تمسك به واستدل به علىٰ أصل من أصول الدين، وهو معرفة حقيقة الكلام كلام الله، وغيرها من العقائد، وهذا الشاعر الذي استدل بقوله هؤلاء علىٰ صفة الكلام إذ قالوا: إن الكلام معنىٰ متعلق بذات الله لا حرف ولا صوت

أقول: هذا الشاعر علىٰ فرض ثبوت أن هذا البيت من شعره ليس ممن يُعتدُّ به في هذا المقام الذي هو بحث الاعتقاد وإنما يعتدُّ بأقوال أصحاب العلوم الشرعية التي في مقدمتها العقيدة الإسلامية الصحيحة بما تشتمل عليه من أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا وأفعاله الحكيمة.

---

(١) «فتاوىٰ ابن تيمية» (٦/ ٢٩٦-٢٩٧).

ولقد وقع في ذلك كثير من أهل الفرق المؤولة، فلقد أوَّلت الأشاعرة بعض نصوص الصفات تأويلًا باطلًا، ومنها صفة الاستواء[1]، حيث فسَّروها بالاستيلاء، فقالوا في قول الله عزَّ شأنُه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، أي: استولىٰ، واستدلُّوا علىٰ هذا التفسير الخاطئ بقول القائل:

ثُمَّ اسْتَوَىٰ بِشْرٌ عَلَىٰ الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مِهْرَاقِ

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -في أوَّل من قال: إن الاستواء بمعنىٰ الاستيلاء-: فإن أوَّل من حُفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام -أعني أن الله سبحانه وتعالىٰ ليس علىٰ العرش حقيقة، وأن معنىٰ استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ ونحو ذلك- هو الجعدُ بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها، فنسبت مقالة الجهمية إليه. وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم. اليهودي الساحر الذي سحر النبيَّ ﷺ. «الفتاوىٰ» (٥/ ٢٠).

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْمُؤْمِنُونَ يَـرَوْنَ حَقًّـا رَبَّهُـمْ (١٠) وَإِلَىٰ السَّمَـاءِ بِغَيْـرِ كَيْـفٍ يَنْـزِلُ

الشرح:

❁ المسألة السابعة من المسائل التي اشتملت عليها هذه المنظومة: رؤية المخلوق للخالق ﷻ:

ففي هذه المسألة لابدَّ من بيان أمرين مهمَّين من منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الرؤية:

الأمر الأول: إثباتهم رؤية المؤمنين ربَّهم في موضعين: في عَرَصات القيامة، وفي الجنة.

والأدلَّة علىٰ إثبات هذه الرؤية نصوصٌ كثيرة من القرآن والسنَّة:

فأمَّا النصوص من الكتاب العزيز:

(١) فقولُ الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، فالأولىٰ من النضارة وهي البهاء والحسن. والثانية من النظر، أي بعيني البصر إلىٰ الربِّ الرحيم في جنَّات النعيم.

قال ابنُ كثير في تفسير هذه الآية: قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ من النضارة، أي حسنة بهيَّة مشرقة مسرورة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، أي: تراه عيانًا، كما رواه البخاري رَحِمَهُ اللهُ في "صحيحه": «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا».[١]

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٣٥)، من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

و أما النصوص من السنة فقد ثبتت رؤية المؤمنين للَّه ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها، ولا منعها؛ لحديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما وهما في "الصحيحين": أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْسَ دُونَهُمَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَذَلِكَ».[١] وفي "الصحيحين": عن جرير رضي الله عنه، قَالَ: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَىٰ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَلَا قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا».[٢] وفي "الصحيحين": عن أبي موسىٰ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ اللَّهِ ﷻ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».[٣]

وفي أفراد مسلم: عن صهيب رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ -قَالَ-: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟! أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟! قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَهِيَ الزِّيَادَةُ»، ثُمَّ

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٣٧ و٧٤٣٨)، ومسلم برقم (١٨٢)، من حديثهما معًا.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٣٤)، ومسلم برقم (٦٣٣).

(٣) رواه البخاري برقم (٧٤٤٤)، ومسلم برقم (١٨٠).

تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: من الآية ٢٦].[١]

وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متَّفق عليه بين أئمة الإسلام، وهُداة الأنام. ومن تأوَّل ذلك بأن المراد بـ: ﴿إِلَىٰ﴾ مفرد الآلاء، وهي النعم، كما قال الثوريُّ عن منصور عن مجاهد: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، قال: تنتظر الثواب من ربِّها.[٢] رواه ابنُ جرير من غير وجه عن مجاهد.[٣]

وكذا قال أبو صالح أيضًا[٤]، فقد أبعد هذا القائل النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه، وأين هو من قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؟! قال الشافعيُّ رحمه الله: مَا حَجَبَ الْكُفَّارَ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْأَبْرَارَ يَرَوْنَهُ عز وجل.[٥]

---

(١) رواه مسلم برقم (١٨١).

(٢) رواه ابن جرير (٢٤/ ٧٢).

(٣) انظر: "تفسير الطبري" (٢٤/ ٧٢-٧٣). ورواه عبد بن حميد بسند صحيح؛ قاله الحافظ في "فتح الباري" (١٣/ ٤٢٥).

(٤) رواه الطبري (٢٤/ ٧٣)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (١٣/ ٥٤٤).

(٥) ثبت هذا عن الإمام الشافعي رحمه الله بمعناه من طرق: فرواه عنه المزني: أخرجه اللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٣/ ٤٦٨) برقم (٨٠٩).

☐ ورواه عنه الربيع بن سليمان، أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان" (١٠/ ١٥٤)، واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٣/ ٥٠٥-٥٠٦) برقم (٨٨٤)، والبيهقي في "مناقب الشافعي" (١/ ٤١٩)، وابن عبد البر في "الانتقاء" (ص٧٩)، وابن عساكر في "تاريخه" (٢٤/ ٤٥٨) و(٥١/ ٣١٣).

☐ ورواه عنه محمد بن عبد الحكم، أخرجه اللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٣/ ٤٦٩)=

ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دلَّ عليه سياقُ الآية الكريمة، وهي قولُه تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، قال ابنُ جرير: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا آدم، حدثنا المبارك، عن الحسن: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، قال: حَسَنَةٌ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، قال: تَنْظُرُ إِلَىٰ الْخَالِقِ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْضُرَ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَىٰ الْخَالِقِ.[١] اهـ[٢]

(٢) ومن الكتاب العزيز أيضًا قولُه تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [سورة يونس:٢٦].

فقد فسَّر النبيُّ ﷺ الحسنىٰ: بالجنة، والزيادة: بالنظر إلى الله عز وجل في

= برقم (٨١٠).

☐ ورواه عنه إبراهيم بن محمد بن هرم، أخرجه ابن بطة في "الإبانة الكبرىٰ" (٣/ ٥٩) برقم (٥٤-الأثيوبي)، وأبو نعيم في "الحلية" (٩/ ١١٧)، والبيهقي في "الاعتقاد" (ص١٤٤-أبو العينين) وفي مناقب الشافعي (١/ ٤٢٠) وفي معرفة السنن والآثار (١/ ١٩١-١٩٢) برقم (٣٤٦-قلعجي)، وابن عساكر في "تاريخه" (٥١/ ٣١٤).

☐ ورواه عنه أبو القاسم الأنماطي، أخرجه ابن بطة في "الإبانة الكبرىٰ" (٣/ ٦٠) برقم (٥٥-الأثيوبي).

(١) رواه الطبري في "تفسيره" (٢٤/ ٧٢).

☐ ورواه ابن خزيمة في "التوحيد" (٢/ ٤٥٦)، وعبد الله بن أحمد في "السنة" (٢/ ٤٥٦ و٤٩٧) برقم (١٠٣٢ و١١٤٦)، والآجري في "التصديق بالنظر" (ص٣٥) برقم (١٥)، والدارقطني في "الرؤية" (١٦١-١٦٢) برقم (٢٤١)، والبيهقي في "الاعتقاد" (ص١٣٣)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٣/ ٤٦٤) برقم (٨٠٠)، من طرق عن المبارك عن الحسن نحوه.

(٢) "تفسير ابن كثير" (٨/ ٢٧٩-٢٨١) باختصار.

جنات النعيم.

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآية: يخبر تعالىٰ أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح الحسنىٰ في الدار الآخرة، كقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، وزيادة علىٰ ذلك أيضًا، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور، والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرَّة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظرُ إلىٰ وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله ورحمته، وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلىٰ وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق[(١)]، وحذيفة بن اليمان[(٢)]،

(١) رواه إسحاق في «مسنده» (٣/ ٧٩٣) برقم (١٤٢٤) وهناد في «الزهد» (١/ ١٣١) برقم (١٧٠) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٣١) برقم (٤٨٣-الجوابرة)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (ص٢٢١) برقم (٣٤٢)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٥٧) برقم (٤٧١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٠) برقم (٧-٢٦٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٣) برقم (١٧٦١٠)، والآجري في «التصديق بالنظر» (ص٣٧) برقم (١٩ و٢٠ و٢١)، وابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (ص٥١) برقم (٣-٨٤)، والدارقطني في «الرؤية» (٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩)، والنحاس في «الرؤية» (١٣٥) برقم (١٢-المعراج)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٥٨) برقم (٧٨٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٠٣) برقم (٦٦٦) وفي «الاعتقاد» (ص١٣١)، من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن عامر ابن سعد عنه.

(٢) رواه إسحاق في «مسنده» (٣/ ٧٩٣) برقم (١٤٢٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٣٨١)،=

وعبد الله بن عباس[(١)]، وسعيد بن المسيب[(٢)]، وعبد الرحمن ابن أبي ليلىٰ[(٣)]، وعبد الرحمن بن سابط[(٤)]،

= وهناد في «الزهد» (١/ ١٣١) برقم (١٧٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٣٠) برقم (٤٨٢)، وعثمان الدارمي في «النقض علىٰ المريسي» (٢/ ٧١٩) وفي «الرد علىٰ الجهمية» (ص١١٨) برقم (١٩١)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٥٨) برقم (٤٧٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥١) برقم (٨-٢٦٤ و٩-٢٦٥)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (ص٢٢٢) برقم (٣٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٤) برقم (١٧٦١٤)، والمحاملي في «الأمالي» (٣٦٦) برقم (٤١٥)، والآجري في «التصديق بالنظر» (ص٣٨) برقم (٢٢)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٠٣) برقم (٦٦٦)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٥٨) برقم (٧٨٣ و٧٨٤)، من طرق عن أبي إسحاق، عن مسلم بن نذير عنه.

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٢٧١-٢٧٢) برقم (٢٠٥) وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٢٧)، من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٥٩-٤٦٠)، من طريق السدِّي عن أبي مالك وأبي صالح عنه.

(٢) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٦٠) برقم (٧٨٩).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» -زيادات نعيم- (٧٩-٨٠) برقم (٢٨٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٩٦)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٠٥) برقم (٩٦) و(٢١٩) برقم (٣٣٧ و٣٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٦-٦٧) برقم (١٧٦١٩-١٧٦٢٣)، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (ص١١٨) برقم (١٩٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٤٨-٤٥٠) برقم (٤-٢٦١، ٥-٢٦٢، ٦-٢٦٣)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٤٤) برقم (٤٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٤٦) برقم (١٠٣٤٨)، والدارقطني في «الرؤية» (ص١٥٩-١٦٠) برقم (٢٣١-٢٣٦)، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٢/ ٨١٨) برقم (١١٢٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٦١) برقم (٧٩١)، من طرق عن ثابت البناني عنه.

(٤) رواه سعيد بن منصور (٥/ ٣١١-«التفسير»)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٤٢٩)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (ص٢٢٢) برقم (٣٤٤)، وابن جرير في «التفسير» (١٥/ ٦٩) برقم (١٧٦٣٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٩٤٥) برقم (١٠٣٣٩)، والدارقطني في «الرؤية» (ص١٦٣) برقم (٢٤٥ و٢٤٦)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٦٢) برقم=

ومجاهـد[١]، وعكرمة[٢]، وعامر بن سعد[٣]، وعطاء، والضحاك[٤]، والحسن[٥]، وقتادة[٦]، والسدي[٧]، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف.

وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبيِّ، فمن ذلك:

ما رواه الإمام أحمد: حدثنا عفان، أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت

= (٧٩٥)، من طرق عن جرير بن عبد الحميد عن ليث بن أبي سليم عنه.

(١) ذكره اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٣/ ٤٦٣) برقم (٧٩٧)، من كتاب ابن أبي حاتم، من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن ليث، عنه.

(٢) ذكره اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٣/ ٣٦٢-٣٦٣) برقم (٤٩٦)، من كتاب ابن أبي حاتم، من رواية الحكم بن أبان عنه.

(٣) رواه ابن المبارك في "الزهد" -زوائد نعيم- (١٢٧) برقم (٤٢٠)، والدارمي في "الرد على الجهمية" (ص١١٩) برقم (١٩٤)، وابن خزيمة في "التوحيد" (٢/ ٤٥٢)، وعبد الله بن أحمد في "السنة" (١/ ٢٥٧) برقم (٤٧٢)، والطبري في "تفسيره" (١٥/ ٦٣-٦٤ و٦٨) برقم (١٧٦١٢ و١٧٦١٣ و١٧٦٢٨)، والدارقطني في "الرؤية" (ص١٦٠-١٦١) برقم (٢٣٧-٢٣٩)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٣/ ٤٦١) برقم (٧٩٢ و٧٩٣)، من طريقين عن أبي إسحاق عنه.

(٤) رواه الدارمي في "الرد على الجهمية" (ص١١٨) برقم (١٩٣)، والدارقطني في "الرؤية" (ص١٦٢-١٦٣) برقم (٢٤٣ و٢٤٤)، من طريق جويبر عنه.

(٥) رواه الطبري في "تفسيره" (١٥/ ٦٧) برقم (١٧٦٢٤)، والبيهقي في "الاعتقاد" (ص١٣٢)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٣/ ٤٦٠) برقم (٧٩٠)، من طريقين عنه. ورواه عبد بن حميد كما في "فتح الباري" (٨/ ٣٤٧).

(٦) رواه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢٩٤)، وابن جرير في "التفسير" (١٥/ ٦٨) برقم (١٧٦٢٩ و١٧٦٣٠)، وابن خزيمة في "التوحيد" (٢/ ٤٥٧-٤٥٨). برقم (١١-٢٦٨ و١٢-٢٦٩)، والدارقطني في "الرؤية" (ص١٦٤) برقم (٢٤٨) واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٣/ ٣٦٣) برقم (٤٩٨)، من طرق عنه.

(٧) رواه الدارقطني في "الرؤية" (ص١٦١) برقم (٢٤٠) من طريق الحكم بن ظهير عنه.

البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وَقَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَىٰ مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا؟! أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ؟! قَالَ: فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ**».[١]، وهكذا رواه مسلم[٢]. اهـ[٣]

وأما الأدلَّة على رؤية المؤمنين لربهم سبحانه في الجنة من السنة المطهرة ما يلي:

(١) أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**» الحديث.[٤]، وقد تقدم.

(٢) وعن صهيب رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ،**

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٣٣).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣٣٢)، ومسلم برقم (١٨١)، والترمذي برقم (٢٥٥٢)، وابن ماجه برقم (١٨٧)، من طرق عن حماد بن سلمة به نحوه.

(٣) "تفسير ابن كثير".

(٤) رواه البخاري برقم (٧٣٣٧ و٧٣٣٨)، ومسلم برقم (١٨٢).

قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ».[1]، وقد سبق ذكره قريبا.

فهذه النصوص من الكتاب والسنة تدلُّ دلالة واضحة صريحة علىٰ أن المؤمنين يرون ربَّهم في الآخرة، فالحمد لله الذي أكرم المؤمنين بجنته، وتجلَّىٰ لهم ليتمتعوا برؤيته، وحجب المجرمين عن رؤيته، كما حرمهم من جنَّته جزاءً وفاقًا.

والأمر الثاني: أقسام النَّاس في الرؤية؛ حيث ينقسمون فيها إلى طرفين ووسط:

☐ الطرف الأول: الجهمية وأفراخهم المعتزلة: غلوا في نفي الرؤية مطلقًا، فقالوا: إن الله لا يُرىٰ لا في الدنيا ولا في الآخرة.

واستدلُّوا بعمومات من القرآن لا تصلح دليلًا لهم؛ منها قولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فأوَّلوا الإدراك الوارد في هذه الآية بمعنىٰ: الرؤية.

إذ قالوا في معنىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾، أي: لا تراه؛ فيكون معنىٰ الآية عندهم: لا تراه الأبصار.

(١) سبق تخريجه (ص١١٥).

وهذا التفسير تفسير باطل، مخالف لتفسير السلف الصالح؛ فإنَّ هذه الآية ورد تفسيرها عن ابن عبَّاس وغيره: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، أي: لا تحيط به[1]، فالله عَزَّ وَجَلَّ لا يحيط به شيء من خلقه، بل هو المحيط بجميع مخلوقاته؛ كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: من الآية ١١٠]، وقال في حقِّه: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: من الآية ١٢]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: من الآية ٥٤]، أي: علمًا وقدرةً، ولا يلزم من نفي الإحاطة في الرؤية نفي الرؤية، بل الرؤية للمؤمنين ثابتة في الجنة؛ بنصوص القرآن والسنة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وكما قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ..» الحديث[2]، وقد سبق ذكره قريبًا.

☐ الطرف الثاني: غلاة الصوفية[3]، وهم الذين غلوا في إثبات الرؤية،

(١) رواه الطبري (١٢/ ١٣) برقم (١٣٦٩٤)، من طريق عطية العوفي عنه.
☐ ورواه الطبري (١٢/ ١٣) برقم (١٣٦٩٥)، عن قتادة.
☐ ورواه ابن أبي عاصم في "السنة" (١/ ١٨٩) برقم (٤٣٤-"الظلال")، والطبري (٢٢/ ٥١٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦٣) برقم (٧٧٣٧)، والآجري في "التصديق بالنظر" (٨٥-٨٦) برقم (٦٣)، والدارقطني في "الرؤية" (١٨٧) برقم (٣٠٦ و٣٠٧)، وابن عساكر في "تاريخه" (١٣/ ٣٥٥) من طريق عمرو بن حماد بن طلحة القناد عن أسباط بن نصر عن سماك عن عكرمة معناه.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٣٤)، ومسلم برقم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) الصوفية طائفة من الفرق الهالكة المبتدعة، اختلف العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية؛=

فأثبتوها في الدنيا والآخرة.

فهم يعتقدون بأن زعماءهم يرون الله في الدنيا والآخرة، وكذبوا؛ إذ لم يستندوا إلىٰ برهان، بل إلىٰ التخرُّص والهذيان.

□ والطرف الثالث: أهل القول الوسط أهل السنة والجماعة، الوسط بين الطرفين السابِقَين، الجهمية الغلاة في نفي الرؤية لله، والصوفية الغلاة في إثباتها في الدنيا والآخرة.

فهم يثبتون رؤية المؤمنين لربِّهم في الآخرة، في موضعين - كما سبق -:

◎ الأوَّلُ: في عرصات القيامة.

◎ والثاني: في الجنة: دار النعيم المقيم، والتمتع برؤية الربِّ الرحيم.

وينفون رؤية المؤمنين وغيرهم عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الدنيا؛ فإن الله لا يراه أحد في الدنيا الفانية؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ

= ولعل سبب تسميتهم بالصوفية نسبة إلىٰ لبس الصوف.

ومن أسماء الصوفية: الصوفية، أرباب الحقائق، الفقراء، الجوعية، الملامية أو الملامتية.

وقد اختلف في ظهور المذهب الصوفي، فقيل: سنة (١٥٠هـ). وقيل: سنة (١٨٩هـ). وقيل: ظهر بعد المائتين من الهجرة. وقيل: بعد القرون الثلاثة الأولىٰ، أي: في القرن الرابع الهجري.

ومن عقائدهم الفاسدة وقولهم على الله بغير علم: قولهم بوحدة الوجود، والحلول، والاتحاد، ووحدة الشهود، والكشف، والقطب، والغوث، ومن كبار دعاة هذه الطائفة الضالة: الحلاج، وابن عربي، وابن الفارض، والبسطامي، والجيلي، وغيرهم كثير. انظر: "فرق معاصرة" (ص٥٧٥) وما بعدها، بتصرُّف شديد واختصار.

رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والخلاصة: أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في دار النعيم علىٰ اختلاف منازلهم، وذلك من أجلِّ نعيمهم، ولم يره ولا يراه أحد في الدنيا، لا من الرسل - عليهم السلام -، ولا ممن هو دونهم.

وأن جميع الكافرين لا يرون ربَّهم يوم القيامة، بل هم محجوبون عنه؛ بأدلَّة الكتاب والسنة، عقوبةً لهم.

وأما المنافقون: فإنهم يرون الله مع المؤمنين في عرصات القيامة، فيتهيَّؤون للسجود كما سجد المؤمنون، فتعود ظهورهم طبقًا واحدًا، أي: لا يقدرون علىٰ السجود؛ كما قصَّ الله ﷻ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

وكما جاء في الحديث الثابت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا**

وَاحِدًا».[1]

قوله: .... وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

۞ المسألة الثامنة من المسائل التي اشتملت عليه المنظومة: إثبات صفة النزول لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

يثبت صاحب المنظومة الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في هذا الشطر الأخير من البيت صفة النزول لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، علىٰ طريقة ومنهج أهل السنة والجماعة، وأن منهج أهل السنة والجماعة السلف الصالح في إثبات هذه الصفة لله تعالىٰ وأنها صفة فعليَّة من غير سؤال عن كيفية النزول، أو تأويل لها، وذلك لأخذهم النصوص علىٰ ظاهرها في ذلك.

ومن الأدلة الصريحة في إثبات صفة النزول لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما يلي:

(١) ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبيُّ ﷺ: **«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ اسْمُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّىٰ يَطْلُعَ الفَجْرُ».**[2]

وأما كيفية النزول فلا يجوز أن يُسأل عنها، كما لا يجوز أن يُسأل عن

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٩١٩)، ورواه البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم برقم (١٨٣)، نحوه، من حديثه مطوَّلًا.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٩٤)، ومسلم برقم (٧٥٨).

كيفية ذات الله وصفاته عمومًا؛ وإنَّما يُسأل عن معانيها، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة الطائفة الناجية المنصورة في الرد علىٰ من يسأل عن كيفية الصفات؛ لأنهم كانوا إذا قال لهم الجهميُّ: إن الله ينزل إلىٰ السماء، فكيف ينزل؟ يقولون: إن الله أخبرنا أنه ينزل، ولم يخبرنا كيف ينزل.

أو تقول كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ حين سئل عن كيفية الاستواء لله؟ فأجاب بقوله: الاستواء غيرُ مجهول، والكيف غيرُ معقول، والإيمانُ به واجب، والسؤال عنه بدعة.[1]

والفرق التي أنكرت ذلك: هي إمَّا فِرَق منكرة لجميع الأسماء والصفات، أو لجميع الصفات فقط كالجهمية والمعتزلة، الذين ينفون هذه الصفة كبقية الصفات، وإما مؤوِّلة كالأشاعرة والماتريدية والكُلَّابية؛ الذين يؤوِّلون النزول بنزول الرحمة، أو نزول الأمر.

فأهلُ السنة والجماعة السلف الصالح يثبتون صفة النزول لله تعالىٰ صفة

---

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٥-٣٠٦) برقم (٨٦٧)، وفي «الاعتقاد» (ص١١٩- أبو العينين)، من طريق يحيىٰ بن يحيىٰ، قال: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل، فذكره. قال الحافظ في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧): إسناده جيد.

☐ ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٤-٣٠٥) برقم (٨٦٦) عن أبي الربيع الرشديني عن ابن وهب، قال: كنت عند مالك فدخل رجل فقال، فذكر نحوه. وصحَّح إسناده الذهبي في «العلوّ للعلي الغفار» (ص١٣٨-أشرف عبد المقصود)، وذكره الذهبي من رواية جماعة عن مالك، وقال: هذا ثابت عن مالك. وصححه الألباني في «مختصر العلوّ» للذهبي (ص١٤١-١٤٢).

فعليَّة، وأنه ينزل متىٰ شاء، وكيف شاء، نزولًا حقيقيًّا؛ انطلاقًا من النصوص الواردة في ذلك، وأنه ينزل إلىٰ السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر، كما يليق بجلاله وعظمته، دون البحث أو السؤال عن الكيفية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأُقِرُّ بِالْمِيـزَانِ وَالْحَـوْضِ الَّـذِي (١١) أَرْجُـو بِـأَنِّي مِنْـهُ رِيًّـا أَنْهَـلُ

الشرح:

❁ **المسألة التاسعة: في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في وجوب الإيمان بالميـزان.**

الذي توزن به الأعمال يوم القيامة، وذلك -أي: وجوب الإيمان بالميزان- من أمور الإيمان باليوم الآخر، كما تتضمن هذه المسألة الردَّ علىٰ منكري ذلك من أهل الفكر المنحرف، والمعتقد الفاسد.

قوله: وَأُقِرُّ بِالْمِيـزَانِ ....

في هذا الشطر بيانُ معتقد أهل السنة والجماعة، وأنهم يؤمنون بالميزان؛ لأنه جاء في القرآن الكريم، قال تعالىٰ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٨]، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة:٦-١١].

وقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ

سَعِيرًا * إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا * إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ * بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾ [الانشقاق:٧-١٥].

وكذلك في السنَّة المطهَّرة؛ كما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّىٰ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ»[1].

ولما ثبت عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا، أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: بَلَىٰ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (٦/ ٥٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ٥٠) برقم (٩٩٩٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٣٦٣) برقم (٧٨١-«الظلال»)، وفي «الآحاد والمثاني» (١/ ٣٤٧) برقم (٤٧٠)، والدولابي في «الكنىٰ» (١/ ١٠٦) برقم (٢١٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٤٨) برقم (٨٧٣) وفي «الشاميين» (١/ ٣٥٧ و٤٥٥) برقم (٦١٥ و٨٠٤)، وفي «الدعاء» (٤٧٩) برقم (١٦٨٠)، وابن حبان (٣/ ١١٤) برقم (٨٣٣)، والحاكم (١/ ٦٩٢) برقم (١٨٨٥)، وتمام في «الفوائد» (٢/ ٢٢١) برقم (١٥٨٠-السلفي)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ٢٥٤) برقم (٨٦٦) و(٢/ ٨١٨) برقم (٢١٤٣) و(٥/ ٢٩١٥-٢٩١٦) برقم (٦٨٣٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٢/ ٢١٦٠٢١٧) برقم (٩٢٩٩-الرشد)، من طريقين عن أبي سلام الأسود، حدثني أبو سلمىٰ مولىٰ رسول الله ﷺ. قال الهيثمي (١٠/ ١٠١-«البغية»): رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما ثقات. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٢٠٤).

مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[1].

فهذه النصوص تدلُّ دلالة واضحة علىٰ أن الميزان حقٌّ، توزن فيه الأعمال يوم القيامة، ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة:٦-١١].

قوله: ....وَالْحَوْضِ الَّذِي ◊ أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ

الشرح:

❁ المسألة العاشرة من المسائل التي اشتملت عليها المنظومة: إثبات الحوض.

أي: ومن معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بالحوض الذي خصَّصه

(١) رواه أحمد (٢/ ٢١٣)، والترمذي برقم (٢٦٣٩)، وقال: حسنٌ غريبٌ. واللفظ له، وابن ماجه برقم (٤٣٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ٤٦١-٤٦٢) برقم (٢٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٦ و٧١٠) برقم (٩ و١٩٣٧)، من طرق عن اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، عن عَامِرِ بْنُ يَحْيَىٰ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحبلي الْمَعَافِرِي، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ به. واللفظ للحاكم في روايته الأولىٰ.

قال الحاكم في الموضع الأول: صحيح الإسناد علىٰ شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وفي الثاني: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي أيضًا. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/ ٢٦١-٢٦٢) برقم (١٣٥).

الله لنبيِّه محمد ﷺ وأمَّته، وأنَّ الكوثر الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، وهو: نهر في الجنَّة أعطاه الله لنبيِّه ﷺ.

والحوض هو الذي تواترت به الأحاديث، ورواه جمع غفير من أصحاب النبيِّ ﷺ؛ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلا يَظْمَأُ أَبَدًا**».[1]

فتَرِدُ عليه أمَّة محمَّد ﷺ ممَّن لم يغيِّر دينه ولم يبدله، فيشرب منه، وهم متفاوتون تفاوتًا عظيمًا في ذلك، بحسب ما أسلفوا في الأيام الخالية.

ويُذاد عنه، أي: يمنع من الورود على الحوض كلُّ من غيَّر وبدَّل، يعني: غيَّر دين الله، وبدَّل شرعه المطهَّر، وأعرض عن السنَّة الكريمة؛ فإنَّه يمنع ويطرد عن الحوض، ومن هؤلاء أهلُ البدع والضلالات الذين عادَوُا الكتاب والسنَّة، ومن أكرمه الله بالإسلام فارتدَّ عن الإسلام ومات على رِدّته، ولو كان من أصحاب النبيِّ ﷺ قبل ارتداده؛ لذا فإنَّ الملائكة تذودهم، أي: تمنعهم من الوصول إليه، فيقول النبيُّ ﷺ: «**أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَقِيلَ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ قَالَ: فَأَقُولُ: بُعْدًا بُعْدًا أَوْ قَالَ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي**».[2]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٩٢).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٣٣ و٣٣٩)، والبخاري برقم (٦٥٨٣ و٦٥٨٤)، ومسلم برقم (٢٢٩٠ و٢٢٩١)،=

وعن محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَذُودَنَّ رِجَالًا عَنْ حَوْضِي، كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الْإِبِلِ عَنِ الْحَوْضِ**».[1]

وعن هشام، قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْأَنْصَارِ: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي، وَمَوْعِدُكُمُ الْحَوْضُ**».[2]

وعن أبي حازم، قال: سَمِعْتُ سَهْلًا رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**».[3]

فأهل السنة والجماعة -ومنهم ابنُ تيمية رحمه الله فهو إمام من أئمة أهل السنة والجماعة المقتدىٰ بهم في باب الأسماء والصفات، والإيمان بالمغيبات، وغير ذلك من أبواب العلم الشرعي ووسائله- يؤمنون بما ورد في النصوص من أخبار هذه الأمور التي تكون في يوم القيامة.

= من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه عند البخاري: عن النعمان بن أبي عياش سمع أبا سعيد سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي**».

(١) رواه البخاري برقم (٢٣٦٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٠٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٧٩٣) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٦١).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٥٨٣)، ومسلم برقم (٢٢٩٠).

بعد ذلك ذكر الناظم حُسن رجائه في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يكون ممن يشرب وينهل من الحوض الذي يؤمن به بقوله:

.......................وَالْحَوْضِ الَّذِي ◊ أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ

لأن حسن الظن بالكريم الرحيم واجب من واجبات الإسلام ومنهجه القويم.

وأنكر الحوض والميزان: **الجهمية والمعتزلة والخوارج وأتباعهم**، بدون دليل من شرع أو عقل، بل مجازفة واتباعًا للهوى، استنادًا إلىٰ تأويلات باطلة، ليس لها أصل من شرع أو عقل، كما أسلفت قريبًا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ ﴿١٢﴾ فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَآخَرُ مُهْمَلُ

الشرح:

❁ المسألة الحادية عشرة من المسائل التي اشتملت عليها المنظومة: الصراط.

في هذا البيت بيان لمعتقد أهل السنة والجماعة في إثبات الصراط الذي ورد ذكره في القرآن الكريم والسنَّة المطهرة.

فمن أدلَّته من القرآن الكريم قولُ الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١]، حيث فسَّر الورود بالمرور علىٰ الصراط المنصوب علىٰ متن جهنم، تَعْبُرُه الخلائق علىٰ قدر أعمالهم.

□ ومن السنَّة المطهَّرة أحاديثُ كثيرة، أذكر منها هذا الحديث الثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إِنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ بَدْرٍ، لَيْسَ دُونَهُ حِجَابٌ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**»، قَالُوا: لَا. قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا**

مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ، مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّىٰ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ: أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَىٰ رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللَّهَ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ

وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ، رَأَىٰ بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ قَدِّمْنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ، أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَىٰ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا، فَرَأَىٰ زَهْرَتَهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ! أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَىٰ خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللَّهُ ﷻ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّىٰ حَتَّىٰ إِذَا انْقَطَعَتْ أُمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: تَمَنَّ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّىٰ إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».(1)

□ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، عَلَيْهِ حَسَكُ السَّعْدَانِ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ مَخْدُوشٌ بِهِ، ثُمَّ نَاجٍ وَمُحْتَبَسٌ وَمَنْكُوسٌ فِيهَا، فَإِذَا فَرَغَ

---

(١) رواه البخاري برقم (٨٠٦) واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٢).

اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، يَفْقِدُ الْمُؤْمِنُونَ رِجَالًا كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا، يُصَلُّونَ صَلَاتَهُمْ وَيُزَكُّونَ زَكَاتَهُمْ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ، وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ، وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ، فَيَقُولُونَ: أَيْ رَبَّنَا عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا، يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا، وَيَحُجُّونَ حَجَّنَا، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا، لَا نَرَاهُمْ؟ قَالَ: فَيُقَالُ: اذْهَبُوا إِلَىٰ النَّارِ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ، فَأَخْرِجُوهُ، فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أَخَذَتْهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ ثَدْيِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، وَلَمْ تَغْشَ الْوَجْهَ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، فَيَطْرَحُونَهُمْ فِي مَاءِ الْحَيَا، قِيلَ: وَمَا مَاءُ الْحَيَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبُتُونَ فِيهَا كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِيمَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، ثُمَّ يَتَجَلَّىٰ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَىٰ مَنْ فِيهَا، فَمَا يَتْرُكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ، إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا»[1].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١١)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٧٦-١٧٧)، وعنه ابن ماجه) برقم (٤٢٨٠)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/ ٧٦٦) برقم (٤٩٣)، والطبري في التفسير (١٨/ ٢٣٥-٢٣٦)، ويحيىٰ بن صاعد في «زوائد زهد ابن المبارك» (٤٤٨) برقم (١٢٦٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٢٨) برقم (٨٧٣٨)، من طريق محمد بن إسحاق عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ مُعَيْقِيبٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو الْعُتْوَارِيِّ، حَدَّثَنِي لَيْثٌ - وَكَانَ فِي حِجْرِ أَبِي سَعِيدٍ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ به.

قال الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ: صحيح علىٰ شرط مسلم. =

فالصراط جسر مورود يمرُّ به العباد بقدر أعمالهم، فمنهم الناجي الذي لا تمسه النار، كمن يمرُّ عليه كالبرق وكالريح أو كلمح البصر، ومنهم غير الناجي، فتخطفه الكلاليب التي علىٰ الصراط، فتوبقهم في النار بقدر جرائمهم وأعمالهم ومعاصيهم.

وهذا الصراط الحِسِّي يؤمن به أهلُ السنة والجماعة، وأنَّه لا وصول إلىٰ الجنة إلا بعد المرور عليه، وقد دلَّ علىٰ ذلك قولُ الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١]، فإن الورود عند جمهور المفسرين المراد به المرور علىٰ الصراط.

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: ...، وقال الحسن بنُ عرفة: حدثنا مروان بن معاوية، عن بكار بن أبي مروان، عن خالد بن معدان، قال: قَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْدَ مَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ: أَلَمْ يَعِدْنَا رَبُّنَا الْوُرُودَ عَلَىٰ النَّارِ؟! قَالَ: قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَيْهَا وَهِيَ خَامِدَةٌ.[1]

وقال عبد الرزاق: عن ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس

= قال العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ «المستدرك» (٥/ ٤٩): الحديث ليس علىٰ شرط مسلم؛ لأن محمد بن إسحاق وعبيد الله بن المغيرة وسليمان بن عمرو ليسوا من رجال مسلم، وما روىٰ لابن إسحاق إلا قدر خمسة أحاديث في الشواهد والمتابعات كما في «الميزان».

وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما هو حسن فقط؛ لأن فيه محمد بن إسحاق، وقد صرح بالتحديث. «الصحيحة» (٧/ ١/ ١٣٠)، تحت الحديث برقم (٣٠٥٤).

(١) ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٠-٢٣١).

ابن أبي حازم، قال: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَاضِعًا رَأْسَهُ فِي حِجْرِ امْرَأَتِهِ، فَبَكَىٰ فَبَكَتِ امْرَأَتُهُ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ تَبْكِي فَبَكَيْتُ. قَالَ: إِنِّي ذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: من الآية ٧١] فَلَا أَدْرِي أَأَنْجُو مِنْهَا أَمْ لَا؟!(١)

وفي رواية: وكان مريضًا.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابنُ يمان، عن مالك بن مغول، عن أبي إسحاق: كَانَ أَبُو مَيْسَرَةَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ، قَالَ: يَالَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي. ثُمَّ يَبْكِي، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا مَيْسَرَةَ؟ قَالَ: أُخْبِرْنَا أَنَّا وَارِدُوهَا وَلَمْ نُخْبَرْ أَنَّا صَادِرُونَ عَنْهَا.(٢)

وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري، قال: قَالَ رَجُلٌ لِأَخِيهِ: هَلْ أَتَاكَ أَنَّكَ وَارِدُ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ أَتَاكَ أَنَّكَ صَادِرٌ عَنْهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَفِيمَ الضَّحِكُ؟! قَالَ: فَمَا رُئِيَ ضَاحِكًا حَتَّىٰ لَحِقَ بِاللَّهِ.(٣)

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٠)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٣١) برقم (٨٧٤٨)، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٣١). ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٤١٣)، عن ابن يمان به.

(٣) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٤).

☐ ورواه ابنُ المبارك في «الزهد» -رواية الحسين المروزي- (١٠٥) برقم (٣١١)، ورواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٦/ ٢٢٦) -من طريق سويد بن نصر عن ابن المبارك-: أخبرنا ابن عيينة عن رجل عن الحسن به نحوه. =

وقال عبد الرزاق أيضًا: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو: أخبرني من سمع ابن عبَّاسٍ يخاصم نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الْوُرُودُ الدُّخُولُ، فَقَالَ نَافِعٌ: لَا، فَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وَرَدُوا أَمْ لَا؟ وَقَالَ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: من الآية ٩٨]، أَوَرَدَهَا أَمْ لَا؟ أَمَّا أَنَا وَأَنْتَ فَسَنَدْخُلُهَا. فَانْظُرْ هَلْ نَخْرُجُ مِنْهَا أَمْ لَا؟ وَمَا أَرَىٰ اللَّهَ مُخْرِجَكَ مِنْهَا بِتَكْذِيبِكَ، فَضَحِكَ نَافِعٌ!.(١)

وروىٰ ابن جريج عن عطاء، قال: قَالَ أَبُو رَاشِدٍ الْحَرُورِيُّ وَهُوَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: من الآية ١٠٢]، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَيْلَكَ، أَمَجْنُونٌ أَنْتَ؟! أَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: من الآية ٩٨]، ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]، ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: من الآية ٧١]، وَاللَّهِ إِنْ كَانَ دُعَاءُ مَنْ مَضَىٰ: اللَّهُمَّ أَخْرِجْنِي

= ☐ ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٥٠٠) عن يزيد بن هارون عن سفيان بن حسين عن الحسن قال: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا الْتَقَوْا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ، فذكر نحوه.

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ١١)، ومن طريقه الطبري (١٨/ ٢٣٠).

☐ ورواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢/ ٨٥١) من طريق روح بن عبادة، قال: حدَّثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار أنَّ نافع بن الأزرق مارىٰ ابن عبَّاس، وذكر نحوه.

مِنَ النَّارِ سَالِمًا، وَأَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ غَانِمًا.(١)

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، حدثنا أسباط، عن عبد الملك، عن عبيد الله، عن مجاهد، قال: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو رَاشِدٍ وَهُوَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]؟ قَالَ: أَمَّا أَنَا وَأَنْتَ يَا أَبَا رَاشِدٍ فَسَنَرِدُهَا، فَانْظُرْ هَلْ نَصْدُرُ عَنْهَا أَمْ لَا؟.(٢)

وقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾، أي: إذا مرَّ الخلائق كلُّهم علىٰ النار، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم، نجَّىٰ الله تعالىٰ المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم علىٰ الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيُّون والمؤمنون، فيخرجون خلقًا كثيرًا، قد أكلتهم النار، إلا دارات وجوههم وهي مواضع السجود، وإخراجهم إيَّاهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أوَّلًا من كان في

(١) رواه الطبري في "تفسيره" (١٨/ ٢٣٠) قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء به.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٨/ ٢٣٣).

☐ ورواه هناد في "الزهد" (١/ ١٦٤) برقم (٢٢٩)، من طريق ليث عن مجاهد نحوه. وعزاه في "الدر المنثور" (٥/ ٥٣٥) لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، حتىٰ يخرجون من كان في قلبه أدنىٰ أدنىٰ أدنىٰ مثقال ذرة من إيمان، ثم يُخرج الله من النار من قال يومًا من الدهر: لا إله إلا الله، وإن لم يعمل خيرًا قط، ولا يبقىٰ في النار إلا من وجب عليه الخلود؛ كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾.اهـ(١)

والفِرَق التي أنكرت الصراط هي الفرق التي أنكرت جميع السمعيات كالجهمية والمعتزلة؛ وهما فرقتان هالكتان ضلَّتا عن سواء السبيل وعن الصراط المستقيم؛ الذي هدىٰ الله له أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان.

(١) "تفسير ابن كثير" (٥/ ٢٥٢-٢٥٧) باختصار.

قال رحمه الله:

والنَّارُ يَصْلَاها الشَّقيُّ بِحِكْمَةٍ (١٣) وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَىٰ الْجِنَانِ سَيَدْخُلُ

الشرح:

المسألة الثانية عشرة التي اشتملت عليها المنظومة.

ففي هذا البيت أيضًا بيانٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة في شأن أهل الجنة والنار؛ استنادًا إلىٰ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: من الآية ٧].

فالأشقياء في النار -والعياذ بالله- حكمة من الله وعدلًا، والأتقياء في الجنة رحمةً من الله وفضلًا.

فلا يُسَوِّي الخلاَّق العليم بين الأشقياء وبين الأتقياء في الجزاء؛ لأنهم لم يستووا في العمل، قال ﷻ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وإذ كان الأمر كذلك وهو كذلك بدون ريب، فإن من دخل النار فهو بعدل الله وحكمته، ثم بالعمل الذي أسلفه في حياة العمل -عمل السوء

والشر- الذي حذَّره الله من الوقوع فيه.

ومن دخل الجنة فبفضل الله ورحمته، ثم بالعمل الذي أسلفه في حياة العمل، كما قال عزَّ شأنه: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، وهو خطاب لأهل الجنة.

وقال ﷻ: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥] وذلك في شأن الأشقياء.

وفي هذه المسألة ينبغي التنبيه على مسألة هل الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن؟

فمذهبُ أهل السنة والجماعة وجوب الإيمان بالجنة والنار، وأنَّهما مخلوقتان وموجودتان، فهم لا يشكُّون في ذلك، ولا يترددون؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أخبرنا عن الجنة والنار، وذكر نعوت الجنة وصفات أهلها، وذكر النار وصفات أهلها، وبيَّن النَّبِيُّ ﷺ بأن الجنة والنار موجودتان، وهذا كما أسلفت معتقد أهل الحق السائرين علىٰ نَهج السلف، بخلاف أهل البدع الذين لا يؤمنون بأن الجنة والنار موجودتان، ويرون أن وجودهما الآن ضربٌ من العبث؛ لأنه لا يدخلهما أحد، كالجهمية المعطلة الذين أبعدهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بسبب ما اكتسبوا واجترحوا من السيئات، وابتعدوا عن وحي الله، وحكَّموا عقولهم الخاطئة، فأنكروا وجود الجنة والنار، فردوا بِهذا الإنكار نصوص الكتاب والسنة المثبتة لوجود الجنة والنار وأنَّهما

مخلوقتان موجودتان الآن وقبل الآن وبعد الآن، فإن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، -ويمكن أن تقول وأنت على يقين- إن كل من مات فهو بعد موته إما في نعيم مقيم وإما في عذاب أليم.

فأما أهل السنة والجماعة؛ فقد استندوا في إثبات الجنة والنار وأنهما مخلوقتان موجودتان إلى نصوص الكتاب والسنة، فالنبيُّ ﷺ أراه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الجنة والنار، رآها رأي العين، فقد كان يصلِّي بأصحابه صلاة الكسوف، فقال لأصحابه: «**لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُهُ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الْجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ...**» الحديث.[1]

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَرَأَيْتُ عَمْرًا يَجُرُّ قُصْبَهُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ**».[2]

وما ثبت أن النبيَّ ﷺ قال: «**لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ..**» الحديث[3]، وهذا لا ينافي وجود الجنة والنار الآن.

---

(١) رواه البخاري برقم (١٢١٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٠١)، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٦٢٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٠١).

(٣) رواه الترمذي برقم (٣٤٦٢)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال: وفي الباب عن أبي أيوب. وقال:=

هذا هو الحق بأن الجنة والنار لا تفنيان، أما الجنة فإنَّها الدار الطيبة التي لا تفنى، بل أهلها خالدون فيها أبدًا، وهي الدار التي لها بداية، وليس لها نِهاية، بل نعيم أهلها في زيادة، ولَم يخالف في ذلك إلا من خالف النصوص بالإلحاد فيها.

وأما النار فالذي يظهر لي التفصيل:

□ فالنار دركاتٌ، منها ما هو لأهل الكفر الأكبر والشرك الأكبر والنفاق الاعتقادي الذين حكم الله عليهم بالخلود فيها، بسبب كفرهم الأكبر وشركهم الأكبر ونفاقهم الاعتقادي، وقال في حقهم: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ:٢٣-٢٦].

وقال في حقهم أيضًا: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٧].

وقال في حقهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٥]، إلى غير ذلك من النصوص القرآنية التي تدلُّ على

= هذا حديث حسن غريب. وأورده الألباني في الصحيحة (١٠٥).

أن أهل هذه النار لا يموتون فيها ولا يحيون؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: من الآية ٣٦]، فهذه النار لا تفنىٰ أبدا.

□ وطبقةٌ عُليا في النار: التي أُعِدَّت لمن شاء الله تعذيبهم من عصاة الموحدين، يطهرهم الله بالنار فيها حكمة منه وعدلًا، بقدر ما جَنَوْا، ثم يخرجهم من النار إلىٰ الجنة، وقد أخذت منهم النار بقدر معاصيهم، وقد جاء في النصوص أن النار تأكلهم إلا مواضع السجود؛ فإن الله حرَّم علىٰ النار أن تأكل مواضع السجود -أعضاء السجود-، فهذه الطبقة هي التي تفنىٰ ويأتي عليها وقت تصطفق أبوابها ليس فيها أحد، وقد جاء في الحديث القدسي أن الله تعالىٰ يقول: «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ قَوْمًا قَدْ صَارُوا حُمَمًا ...» الحديث.[1]

(١) رواه مسلم برقم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال رحمه الله:

وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ (١٤) عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

الشرح:

المسألة الثالثة عشرة: في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة السلف الصالح في الإيمان بالحياة البرزخية.

فهم يعتقدون بأن هناك حياة وسطىٰ بين الحياة الدنيا والحياة الأخروية، وهي تسمىٰ الحياة البرزخية، ويؤمنون بأن المرء العاقل من بني آدم يسأل في قبره، فإما أن يكون في نعيم للمؤمنين الذين يلهمهم الله الحجة؛ لأنهم أتوا بالأسباب النافعة من عمل الصالحات وترك المنكرات، فيجيبون بما يكون سببًا في نجاتهم، فيقول المؤمن: الله ربِّي والإسلام ديني ومحمد ﷺ نبيي.

وإما أن يكون في جحيم للكافرين والمنافقين بسبب أعمالهم وأقوالهم في الدنيا، حتىٰ يبعث الله الخلق ليوم القيامة.

وكذلك في هذه المسألة بيان أن قرين المرء في قبره هو عمله الذي أملاه علىٰ الكرام الكاتبين بأقواله وأفعاله. وهذا حق؛ لأنه ثابت بالنص عن النبي ﷺ، وهو القرين الذي يقارنه في قبره.

ومن أدلة إثبات عذاب القبر من القرآن الكريم:

قول الله ﷻ في قوم فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ

تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، فقوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ هذا في الحياة البرزخية.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: وهذه الآية أصلٌ كبير في استدلال أهل السنة علىٰ عذاب البرزخ في القبور، وهي قولُه تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: من الآية ٤٦].

ولكن هنا سؤال: وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكّية، وقد استدلُّوا بها علىٰ عذاب القبر في البرزخ، وقد قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم -هو ابن القاسم أبو النضر-، حدثنا إسحاق بن سعيد -هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص-، حدثنا سعيد -يعني: أباه-، عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَخْدُمُهَا، فَلَا تَصْنَعُ عَائِشَةُ رضي الله عنها إِلَيْهَا شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا قَالَتْ لَهَا الْيَهُودِيَّةُ: وَقَاكِ اللَّهُ عَذَابَ الْقَبْرِ. قَالَتْ رضي الله عنها: فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لِلْقَبْرِ عَذَابٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ ﷺ: «لَا، مَنْ زَعَمَ ذَلِكَ؟»، قَالَتْ: هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ، لَا أَصْنَعُ إِلَيْهَا شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا قَالَتْ: وَقَاكِ اللَّهُ عَذَابَ الْقَبْرِ. قَالَ ﷺ: «كَذَبَتْ يَهُودُ، وَهُمْ عَلَى اللَّهِ أَكْذَبُ، لَا عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ نِصْفَ النَّهَارِ مُشْتَمِلًا بِثَوْبِهِ مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: «الْقَبْرُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ! أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ بَكَيْتُمْ كَثِيرًا

وَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا! أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ؛ فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ».(١)

وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم ولم يُخرجاه.

وروىٰ أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: سَأَلَتْهَا امْرَأَةٌ يَهُودِيَّةٌ، فَأَعْطَتْهَا، فَقَالَتْ لَهَا: وَقَاكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَأَنْكَرَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها ذَلِكَ، فَلَمَّا رَأَتِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَتْ لَهُ، فَقَالَ ﷺ: «لَا»، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: ثُمَّ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ: «وَإِنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ».(٢)

وهذا أيضًا علىٰ شرطهما.

فيقال: فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكيَّة، وفيها دلالة علىٰ عذاب البرزخ؟

والجواب: أن الآية دلَّت علىٰ عرض الأرواح علىٰ النار غدوًّا وعشيًّا في البرزخ، وليس فيها دلالة علىٰ اتصال تألُّمِها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصًا بالروح، فأمَّا حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه، فلم

(١) رواه أحمد (٦/ ٨١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٧٩ -«البغية»): هو في «الصحيح» باختصار، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٢٣٦): علىٰ شرط البخاري.

(٢) رواه أحمد (٦/ ٢٣٨).

يدلُّ عليه إلا السنَّة في الأحاديث المرضيَّة الآتي ذكرُها. وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلَّت علىٰ عذاب الكفار في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذَّب المؤمن في قبره بذنب.

ومما يدلُّ على ذلك: ما رواه الإمام أحمد: حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا يونس، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة ﵂: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَهِيَ تَقُولُ: أَشَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ؟! فَارْتَاعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «**إِنَّمَا يُفْتَنُ يَهُودُ**». قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلَا إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ**». وَقَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

وهكذا رواه مسلم[1] عن هارون بن سعيد وحرملة، كلاهما عن ابن وهب، عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري به.

وقد يقال: إن هذه الآية دلَّت علىٰ عذاب الأرواح في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يتَّصل في الأجساد في قبورها، فلمَّا أوحي إلىٰ النبيِّ ﷺ في ذلك بخصوصه، استعاذ منه. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم.

وقد روىٰ البخاري من حديث شعبة، عن أشعث ابن أبي الشعثاء، عن أبيه، عن مسروق، عن عائشة ﵂: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: نَعُوذُ

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٤٨)، ومسلم برقم (٥٨٤).

☐ ورواه النسائي برقم (٢٠٦٤) عن سليمان بن داود عن ابن وهب به.

بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ ﵂ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقَالَ ﷺ: «**نَعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ**». قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّىٰ صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.[1]

فهذا يدلُّ علىٰ أنه بادر ﷺ إلىٰ تصديق اليهودية في هذا الخبر، وقرَّر عليه.

وفي الأخبار المتقدِّمة أنه أنكر ذلك، حتىٰ جاءه الوحي، فلعلَّهما قضيتان. والله سبحانه أعلم. وأحاديثُ عذاب القبر ونعيمه كثيرة جدًّا. وقال قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: صَبَاحًا وَمَسَاءً، مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، يُقَالُ لَهُمْ: يَا آلَ فِرْعَوْنَ هَذِهِ مَنَازِلُكُمْ، تَوْبِيخًا وَنِقْمَةً وَصَغَارًا لَهُمْ.[2]

وقال ابنُ زيد: هُمْ فِيهَا الْيَوْمَ يُغْدَىٰ بِهِمْ وَيُرَاحُ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.[3]

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد، حدثنا المحاربي، حدثنا ليث، عن عبد الرحمن بن ثروان، عن هزيل، عن عبد الله بن مسعود ﵁، قال: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طُيُورٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ بِهِمْ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاؤُوا، وَإِنَّ أَرْوَاحَ وِلْدَانِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَجْوَافِ عَصَافِيرَ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ

(١) رواه البخاري برقم (١٣٧٢)، ورواه مسلم (٥٨٦) عن هناد بن السري عن أبي الأحوص عن أشعث به. ولم يسق لفظه تامًّا.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" (٢١/ ٣٩٦)، وعبد بن حميد وابن المنذر، كما في "الدر المنثور" (٧/ ٢٩١).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في أهوال القبور، كما في "أهوال القبور" لابن رجب (ص١١٢-عاطف شاهين)، وابن أبي حاتم في "تفسيره"، كما في "شرح الصدور بشرح حال الموتىٰ في القبور" للسيوطي (ص٢٥٦-المعرفة).

شَاءَتْ، فَتَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ فِي الْعَرْشِ. وَإِنَّ أَرْوَاحَ آلِ فِرْعَوْنَ فِي أَجْوَافِ طُيُورٍ سُودٍ تَغْدُو عَلَىٰ جَهَنَّمَ وَتَرُوحُ عَلَيْهَا، فَذَلِكَ عَرْضُهَا».(١)

وقد رواه الثوري، عن أبي قيس، عن الهزيل بن شرحبيل من كلامه في أرواح آل فرعون(٢)، وكذلك قال السُّدِّي.(٣)

وقال الإمام أحمد. حدثنا إسحاق، حدثنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّىٰ يَبْعَثَكَ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».(٤) أخرجاه في "الصحيحين"(٥) من حديث مالك به.(٦)

ومن الأدلة الدالة على عذاب القبر ونعيمه، وأن قرين المرء في قبره هو عمله ما يلي:

(١) ما جاء عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَخْدُمُهَا، فَلَا تَصْنَعُ عَائِشَةُ

(١) "تفسير ابن أبي حاتم" (١٠/ ٣٢٦٧) برقم (١٨٤٣٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٦٥) عن وكيع، والطبري في "تفسيره" (٢١/ ٣٩٥)، عن محمد بن بشار عن ابن مهدي، (وكيع وابن مهدي) كلاهما عن سفيان به.

□ وتابع سفيان مسعر؛ رواه هناد في "الزهد" (١/ ٢٢١) برقم (٣٦٦) عن محمد بن عبيد عنه.

□ ورواه عبد بن حميد، كما في "الدر المنثور" (٧/ ٢٩٠).

(٣) رواه الطبري في "تفسيره" (٢١/ ٣٩٥).

(٤) رواه أحمد (٢/ ١١٣). وقد رواه مالك في "الموطإ" (١/ ٢٣٩) برقم (٥٦٦).

(٥) رواه البخاري برقم (١٣٧٩)، ومسلم برقم (٢٨٦٦)، والنسائي برقم (٢٠٧٢).

(٦) "تفسير ابن كثير" (٧/ ١٤٦-١٤٩).

رضي الله عنها إِلَيْهَا شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا قَالَتْ لَهَا الْيَهُودِيَّةُ: وَقَاكِ اللَّهُ عَذَابَ الْقَبْرِ، قَالَتْ رضي الله عنها: فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لِلْقَبْرِ عَذَابٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ ﷺ: «لَا، مَنْ زَعَمَ ذَلِكَ؟»، قَالَتْ: هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ، لَا أَصْنَعُ إِلَيْهَا شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا قَالَتْ: وَقَاكِ اللَّهُ عَذَابَ الْقَبْرِ، قَالَ ﷺ: «كَذَبَتْ يَهُودُ، وَهُمْ عَلَىٰ اللَّهِ أَكْذَبُ، لَا عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ نِصْفَ النَّهَارِ مُشْتَمِلًا بِثَوْبِهِ مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: «الْقَبْرُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ! أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ بَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ؛ فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ»(١) وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه. وقد تقدم ذكره قريبا.

وقد ثبت أيضًا عن أنس بن مالك أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَىٰ مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ».(٢)

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) سبق تخريجه (ص١٤٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٥١٤)، ومسلم برقم (٢٩٦٠).

وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَىٰ رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ إِلَىٰ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ. قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَنْتَهُوا بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ. قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ

الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَىٰ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ الْبَصَرِ. قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ. فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ؛ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي وَمَالِي».

قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ إِلَىٰ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ. قَالَ: فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ

فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠]، فَيَقُولُ اللَّهُ: اُكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَىٰ، فَيُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي! فَيَقُولَانِ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي ! فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي ! فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ نَتِنُ الرِّيحِ. فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ. فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَىٰ أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَّةٌ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَىٰ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»، قَالَ الْبَرَاءُ: ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَىٰ النَّارِ، وَيُمَهَّدُ

لَهُ فِرَاشٌ مِنَ النَّارِ. رواه الإمام أحمد[1]، ورواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه بنحوه مختصرًا.

وأمَّا من خالف من الفرق الهالكة في نعيم القبر وعذابه فهم:

المعتزلة: الذين لا يؤمنون بما يحدث في القبر؛ لأن جُلَّ عقائدهم يستندون فيها إلىٰ عقولهم القاصرة، ضاربين بالنصوص وراء ظهورهم وكأنهم لا يعلمون. فهم يبنون جلَّ أمورهم علىٰ عقولهم، ويزعمون أن أدلَّة الشريعة هي أدلَّة ظنية، بخلاف أدلة العقل فهي عندهم يقينية.

فيجب الإيمان بالأحوال التي تكون بعد الموت في الحياة البرزخية التي ثبت في النصوص أنَّها إما نعيم وإما جحيم، فهي نعيم لمن أتوا بأسباب

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٨٧) واللفظ له. ورواه أحمد -أيضًا- (٤/ ٢٨٨ و٢٩٥ و٢٩٧)، وأبو داود) برقم (٤٧٥٣) و(٤٧٥٤)، والنسائي) برقم (٢٠٠١)، وابن ماجه) برقم (١٥٤٨) و(١٥٤٩)، وغيرهم.

قال ابن منده -باختصار-: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء، وهو ثابت علىٰ رسم الجماعة.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص٣٩): هذا حديث كبير صحيح الإسناد، رواه جماعة من الأئمة الثقات عن الأعمش.

وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٩٧): حديث حسن رواته محتج بهم في الصحيح.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٩٠): حَدِيثٌ حَسَنٌ ثَابِتٌ.

وقال ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٥٨-الكتب العلمية): صحيح؛ صححه جماعة من الحفاظ.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٧٣ -«البغية»): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص١٥٩).

الرحمة والمغفرة، وفي مقدِّمة الأسباب: التوحيد والإيمان بالله وبرسله. وإما عذاب أليم لأهل الكفر والطغيان.

وفي الأثر: «الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ»[(١)]

وثبت أن المؤمن يُفسح له في قبره مدَّ البصر، ويفرش له من لباس الجنة، ويأتيه من طيبها وريحها ما ينعم به، والتنعم للروح والبدن، ولكنه للروح أكمل في الحياة البرزخية، حتىٰ تأتي الحياة الأخروية، فيكتمل النعيم للروح والجسد. وأن أهل الإجرام -والعياذ بالله- يُعذَّبون في قبورهم من أهل الكفر والنفاق والارتياب، ومن أراد الله تعذيبه من عصاة الموحدين.

---

(١) يؤثر هذا الكلام عن بلال بن سعد رَحِمَهُ اللهُ؛ أخرجه البيهقي في "الجامع لشعب الإيمان" (١/ ٦٢٢) برقم(٣٩٧).

قال رَحِمَهُ اللهُ:

هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ[(١)] وَمَـالِكٍ[(٢)] ﴿١٥﴾ ....

---

(١) هو الإمام الفقيه ناصر السنة ومجدد الملة أبو عبد الله محمد بنُ إِدْرِيْسَ بنِ العَبَّاسِ بنِ عُثْمَانَ بنِ شَافِعِ بنِ السَّائِبِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَبْدِ يَزِيْدَ بنِ هِشَامِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيٍّ بنِ كِلاَبِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ، الإِمَامُ، عَالِمُ العَصْرِ، نَاصِرُ الحَدِيْثِ، فَقِيْهُ المِلَّةِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ القُرَشِيُّ، ثُمَّ المُطَّلِبِيُّ، الشافعيُّ، مولده بغزَّة سنة (١٥٠هـ)، ومنشؤه بمكة، طلب العلم ببلده مكة والمدينة واليمن والعراق، تخرج بمسلم بن خالد الزنجي، ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة، وكتب عن محمد بن الحسن الشيباني وناظره، وساد أهل زمانه بتمكنه من لسان العرب وجودة فقهه واتباعه لصحيح الآثار، حتىٰ لُقِّبَ ناصر الحديث، وكثر الآخذون عنه، وحضر مجالسه كبار الأئمة أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي ثور، والحميدي، والبويطي، وابن عبد الحكم وغيرهم، وهو أوَّل من صنَّف في علم أصول الفقه، وكتابه مشهور باسم "الرسالة"، وهما اثنتان، البغدادية وهي القديمة، والمصرية وهي التي بنىٰ عليها مذهبه الجديد، من أقواله المأثورة: (لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا قامت عليه الحجة ردُّها؛ فإن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالرويَّة والفكر، ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه، كما نفىٰ عن نفسه، قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]).

وقال: حُكْمِي فِي أَهْلِ الكَلاَمِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالجَرِيْدِ، وَيُحْمَلُوا عَلَىٰ الإِبِلِ، وَيُطَافُ بِهِم فِي العَشَائِرِ، يُنَادَىٰ عَلَيْهِم: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ الكَلاَمِ.

وقال: لأَنْ يَلْقَىٰ اللهَ العَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ إِلاَّ الشِّرْكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الأَهوَاءِ.

وأوصىٰ تلميذه الربيع: يَا رَبِيْعُ، اقبَلْ مِنِّي ثَلاَثَةً: لاَ تَخُوضَنَّ فِي أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ؛ فَإِنَّ خَصْمَكَ النَّبِيُّ ﷺ غَدًا. وَلاَ تَشْتَغِلْ بِالكَلاَمِ؛ فَإِنِّي قَدِ اطَّلَعْتُ مِنْ أَهْلِ الكَلاَمِ عَلَىٰ التَّعْطِيلِ. وَلاَ تَشْتَغِلْ بِالنُّجُومِ.

وقال للبويطي: لاَ تُصَلِّ خَلْفَ الرَّافِضِيِّ، وَلاَ القَدَرِيِّ، وَلاَ المُرْجِئِ.

توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (٢٠٤هـ). انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٠/ ٥-٩٩).

(٢) هو إمام دار الهجرة وعالم المدينة أَبُو عَبْدِ اللهِ مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكِ بنِ أَبِي عَامِرِ بنِ عَمْرِو بنِ الحَارِثِ بنِ غَيْمَانَ بنِ خُثَيْلِ بنِ عَمْرِو بنِ الحَارِثِ، وَهُوَ ذُو أَصْبَحَ بنُ عَوْفِ بنِ مَالِكِ بنِ زَيْدِ بنِ =

..وَأَبِي حَنِيفَـــــةَ(١)

= شداد بن زُرْعَة، وَهُوَ حِمْيَرُ الأَصْغَرُ الحِمْيَرِيُّ، ثُمَّ الأَصْبَحِيُّ، المَدَنِيُّ، حَلِيْفُ بَنِي تَيْمٍ، مَوْلِدُهُ عَلَىٰ الأَصَحِّ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِيْنَ، عَامَ مَوْتِ أَنَسٍ خَادِمِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ.

طَلَبَ العِلْمَ وَهُوَ حدثٌ، وأخذ العلم عن نافع مولىٰ ابن عمر، وابن المنكدر، والزهري، وأبي الزناد، وعبد الله بن هرمز، وربيعة الرأي، ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري، وغيرهم، وجلس للتحديث وهو شاب وقصده الطلاب من الآفاق، وروىٰ عنه من شيوخه: الزهري، ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري، وروىٰ عنه أبو حنيفة وصاحبه محمد بن الحسن، والشافعي، والثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد وغيرهم، ولازمه عبد الملك بن الماجشون، وعبد الرحمن بن القاسم، وأشهب ابن عبدالعزيز وغيرهم من فقهاء مذهبه، وصنف «الموطأ» علىٰ الأبواب وفيه اختياراته، وحمله عنه الجمُّ الغفير.

من أقواله رَحِمَهُ اللهُ: مُحالٌ أن نظن بالنبيِّ ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد.

وقال: الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه، وينهون عنه، نحو الكلام في رأي جهم، والقدر، وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله، وفي الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فالسكوت أحب إليَّ؛ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين، إلا ما تحته عمل.

وقال: لو أن العبد ارتكب الكبائر كلها بعد أن لا يشرك بالله شيئًا، ثم نجا من هذه الأهواء؛ لرجوت أن يكون في أعلىٰ جنات الفردوس؛ لأن كل كبيرة بين العبد وبين ربه هو منها علىٰ رجاء، وكل هوىٰ ليس هو منه علىٰ رجاء؛ إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم.

وقال: لا تمكن زائغ القلب من أذنيك؛ فإنك ما تدري ما يعلقك من ذلك.

وقال: بئس القوم أهل الأهواء، لا تسلِّم عليهم.

وقال: كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلاَّ صَاحِبَ هَذَا القَبْرِ ﷺ.

توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (١٧٩هـ)، انظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/٤٨-١٣٥)، وكتاب «عقيدة الإمام مالك» لسعود الدعجان.

(١) الإِمَامُ، فَقِيْهُ المِلَّةِ، عَالِمُ العِرَاقِ، أَبُو حَنِيْفَةَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتِ بنِ زُوْطَي التَّيْمِيُّ، الكُوْفِيُّ، مَوْلَىٰ بَنِي تَيْمِ اللهِ بنِ ثَعْلَبَةَ. يُقَالُ: إِنَّهُ مِنْ أَبْنَاءِ الفُرْسِ. وُلِدَ: سَنَةَ ثَمَانِيْنَ، فِي حَيَاةِ صِغَارِ الصَّحَابَةِ.

روىٰ عن عطاء بن أبي رباح، والشعبي، والحكم بن عتيبة وغيرهم، وتخرَّج بحماد بن أبي=

..........................ثُـمَّ أَحْـمَـدَ(١) يُنْقَـــلُ

= سليمان، وروىٰ عنه العلم ابنُه حماد وأبو يوسف القاضي، ومحمد بن الحسن الشيباني، والحسن ابن زياد اللؤلؤي، وزفر بن الهذيل، وابن المبارك، وأبو عاصم النبيل، ووكيع وغيرهم.

قال ابنُ معين: كَانَ أَبُو حَنِيْفَةَ ثِقَةً، لاَ يُحَدِّثُ بِالحَدِيْثِ إِلاَّ بِمَا يَحْفَظُه، وَلاَ يُحَدِّثُ بِمَا لاَ يَحْفَظُ.

وقال ابنُ المُبَارَكِ: أَبُو حَنِيْفَةَ أَفْقَهُ النَّاسِ.

وقال الشَّافِعِيُّ: النَّاسُ فِي الفِقْهِ عِيَالٌ عَلَىٰ أَبِي حَنِيْفَةَ.

من أقواله رَحِمَهُ اللهُ: لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئًا تبارك الله وتعالىٰ ربُّ العالمين.

وقال: من قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ فقد كفر، وكذا من قال: إنه علىٰ العرش، ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض.

وقال: أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطِّل، ومقاتل مشبِّه.

وقال: إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته، فَلَمَّا لم أجده فِيهِ أخذت بِسنة رَسُول الله وَالْآثَار الصِّحَاح عَنهُ الَّتِي فَشَتْ فِي أَيدي الثِّقَات عَن الثِّقَات، فَإِذا لم أجد فِي كتاب الله وَلَا سنة رَسُول الله أخذت بقول أَصْحَابه من شِئْت وأدع قَول من شِئْت، ثمَّ لَا أخرج عَن قَوْلهم إِلَىٰ قَول غَيرهم، فَإِذا انْتهىٰ الْأَمر إِلَىٰ إِبراهيم، وَالشعْبِيّ، وَالْحسن، وَابْن سِيرِين، وَسَعِيد بن الْمسيب... -وَعدَّد رجَالًا قد اجتهدوا- فلي أن أجتهد كَمَا اجتهدوا.

توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (١٥٠هـ)، انظر: «أخبار أبي حنيفة» للصيمري (ص٢٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٩٠-٤٠٣)، و«اعتقاد الأئمة الأربعة» للخميس (ص١٠ و١٢).

(١) هو الإِمَامُ حَقًّا، وَشَيْخُ الإِسْلاَمِ صِدْقًا، أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلِ بنِ هِلاَلِ بنِ أَسَدِ بنِ إِدْرِيْسَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ حَيَّانَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَنَسِ بنِ عَوْفِ بنِ قَاسِطِ بنِ مَازِنِ بنِ شَيْبَانَ بنِ ذُهْلِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكَابَةَ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيِّ بنِ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ الذُّهْلِيُّ، الشَّيْبَانِيُّ، المَرْوَزِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، أَحَدُ الأَئِمَّةِ الأَعْلاَمِ. ولد في ربيع الأول سنة (١٦٤هـ)، ونشأ يتيمًا برعاية أمه، وطلب العلم وهو ابنُ خَمسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فروىٰ عن هشيم، ويحيىٰ القطان، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي، وسفيان بن عيينة، وعبد الرزاق الصنعاني، وأبي معاوية الضرير، وابن علية، ويزيد بن هارون، وأبي نعيم، وعبد الله بن نمير، وقتيبة بن سعيد وغيرهم، وسمع أبا يوسف القاضي، وتفقه بالشافعي، وروىٰ عنه خلائق لا يحصرون، منهم: الشافعي، وعبد الرزاق، وابن المديني، ويحيىٰ بن معين، والذهلي، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وأبو حاتم، وأبو زرعة الرازيان وولداه صالح وعبد الله وابنُ عمِّه=

الشرح:

في هذا البيت يشير ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ إلىٰ أن ما أملاه في هذه القصيدة اللامية

= حنبل بن إسحاق، وأبو بكر الأثرم، وأبو بكر المروذي، وإبراهيم الحربي، وإسحاق الكوسج.

امتحنه ثلاثة من خلفاء بني العباس في مسألة القرآن، فأبىٰ أن يجيبهم –وجماعة من أهل العلم–، وناظروه وحاولوه مع الترغيب والترهيب، والضرب والحبس، لكنه ثبت علىٰ قوله ولم يتزعزع، وصبر علىٰ العذاب ولم يجزع، حتىٰ أتىٰ الله تبارك وتعالىٰ بالفرج وولي الخلافة المتوكل رَحِمَهُ اللهُ، فرفع المحنة ونصر السنة، وضيَّق علىٰ المعتزلة وأهانهم، وقرَّب أهل السنة وأكرمهم، وأعلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ مقام الإمام أحمد في الدنيا، فعظمته العلماء، وهابته الأمراء، وأحبَّته قلوب أهل السنة، وصار محنة لأهل الزيغ والضلالة، مع ما اشتهر عنه من سعة العلم والفقه، والزهد والورع، والنسك والعبادة، والتمسك بالسنة ومجانبة البدع وأهلها.

من مصنفاته: كتاب "الإيمان"، و"الرد علىٰ الزنادقة والجهمية"، و"الناسخ والمنسوخ"، و"جوابات القرآن"، و"المسند"، وكتاب "الأشربة" و"التاريخ" و"الزهد" و"فضائل الصحابة"، وروىٰ عنه جماعة من تلاميذه مسائل في الفقه والرجال والعلل، تتبعها وجمعها أبو بكر الخلال رَحِمَهُ اللهُ في مجلدات.

من أقوال أحمد رَحِمَهُ اللهُ: أصول السُّنَّةِ عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، الجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والسنة عندنا: آثار رسول الله ﷺ.

وقال: لا يوصف إلاَّ بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يُتجاوز القرآن والحديث.

وقال: والقرآن كلام الله وليس بمخلوق ولا تضعف أن تقول ليس بمخلوق؛ فإن كلام الله منه وليس منه شيء مخلوق.

وقال: ومن السُّنَّة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ، كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساوئهم والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سبّ أصحاب رسول الله ﷺ، أو أحدًا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مجلف لا يقبل الله منه صرفًا، ولا عدلًا، بل حبُّهم سُنَّة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة.

توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (٢٤١هـ)، انظر: "سير أعلام النبلاء" (١١/ ١٧٧–٣٥٨) و"اعتقاد الأئمة الأربعة" (ص٤٦ و٦٦ و٧٠).

من أصول الاعتقاد هو مذهبٌ للأئمة الأربعة جميعًا؛ فإنهم كلهم علىٰ عقيدة واحدة، إلا ما ندر كمخالفة الأحناف في تعريف الإيمان، حيث سلكوا فيه مسلك الإرجاء، بأن اختزلوا العمل من مسمىٰ الإيمان، فخالفوا بذلك أهل السنة والجماعة، مع اتفاقهم معهم في أن المطيع يثاب علىٰ طاعته، والعاصي يستحق العقاب علىٰ معصيته.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

فَـإِنِ اتَّبَعْـتَ سَـبِيلَهُمْ فَمُوَفَّـقٌ (١٦) وإِنِ ابْتَـدَعْتَ فَـمَا عَلَيْـكَ مُعَـوَّلُ

الشرح:

البيت الأخير السادس عشر هو الذي يتعلَّق بالأبيات الأولىٰ، والمعنىٰ: إن اتبعت سبيل الأئمة الأربعة، فذلك علامة التوفيق للحق، وإن خالفتهم وابتدعت قولًا أو أقوالًا غير ما رأوا واعتقدوا، فلا يُعَوَّلُ علىٰ من فعل ذلك، ولا يُعْتَدُّ به ولا يعتبر من أهل الاتّباع، وإنما يعتبر من أهل الابتداع.

وصلَّى الله وسلَّمَ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فرغنا من قراءة هذا الكتاب مع الجماعة ٢٥ شعبان ١٤٣٦هـ

فهرسة الموضوعات والفوائد العلمية